المقتطف ٣

الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٨ محرم سنة ١٣٢٦

البرتغال وملكها

دعا اغتيال ملك البرتغال وولي عهدهِ الى البحث في بعض المسائل التي تبحث فيها المجلات العلميَّة عادةً مثل تاريخ بلاد البرتغال وحالها من العمران ومذاهب الاشتراكيين والفوضويين عموماً -

وتاريخ البلاد يعنينا بنوع خاص لأَن الذين مصَّروها اولاً هم اسلافنا الفينيقيون الذين نشروا لواء الحضارة فيها هم اسلافنا العرب ولذلك رأَينا ان نقتطف هذه الخلاصة التاريخيَّة قبل الكلام على حال البلاد الحاضرة

بلاد البرتغال في الطرف الجنوبي الغربي من قارة اوربا ومن بلاد اسبانيا المعروفة بشبه جزيرة ايبريا . نزلها الفينيقيون اولاً وعمروها وتغلب عليها ابناؤهم اهالي قرطاجنة ثم اجتاحها برابرة الشمال المعروفون بالفندال الذين نزلوا على المملكة الرومانية في القرن الخامس وتبعهم القوط الغربيون وتلاهم العرب في القرن الثامن للميلاد وبقيت في حوزتهم قرنين ثم لما ضعف شأن بني اميَّة في اواخر القرن العاشر للميلاد او القرن الثالث للهجرة قوي شأن امراء النصارى من القوط الغربيين وسنة ٩٩٧ مسيحيَّة الموافقة لسنة ٣٨٧ هجريَّة استردَّ برمودو الثاني ملك غليسيا المعروفة عند العرب باسم غرسية اول قسم من بلاد البرتغال . وانقضى امر بني اميَّة في اوائل القرن الحادي عشر للميلاد وخلفهم ملوك الطوائف فنهض فردينند الكبير ملك كستيل (قشتالة) وغليسيا (غرسية) واجتاح بيرا (بربة) سنة ١٠٥٥ ولميجو وقسيو سنة ١٠٥٧ . ولما آل الملك الى ابنهِ الثاني الفونسو السادس قوي امرهُ اولاً الى ان لقي السلطان يوسف بن تاشفين بالزلاقة فكانت الدائرة عليهِ فاستعان بامراء برغندي فانجدهُ الكونت

ريموند والكونت هنري · وزوَّج الكونت هنري بابنتهِ تريزا والكونت ريموند بابنتهِ الثانية وكان الكونت هنري من ابطال العصر فخلف حميهُ في الاستيلاء على البرتغال ومات سنة ١١١٢ وترك الملك لزوجتهِ ما دام ابنهُ قاصرًا · وشبَّ ابنهُ بطلاً شجاعًا وكانت البرتغال ولاية من غليسيا فجعلها مملكة مستقلة بعد حروب طالت ستين سنة وهو المسمى افنسو هنريكوس ولُقّب ملك البرتغال · وبقيت الحرب سجالاً بينهُ وبين المرابطين الى ان انقضى امرهم على يد الموحدين وحاربهُ الخليفة يوسف ابو يعقوب من الموحدين وتغلب عليهِ

ثم ضعف شأن الموحدين بسبب نزاع وقع بينهم فقوي شأن افنسو ثانية واشرك ابنهُ سنكو في الملك وتوفي سنة ١١٨٥ · وصالح سنكو الموحدين واعتنى باصلاح بلادهِ فعمَّر المدن وعزَّز الزراعة وسنَّ القوانين العادلة · وتوالى الملوك من آل برغندي ٤٤٠ سنة وبعضهم من افضل ملوك البرتغال فالفنسو الاول جعلها من الدول البحرية وسنكو بنى مدنها وابنهُ الفنسو الثاني جمع اول مجلس للشورى فيها والفنسو الثالث وسع حدودها الجنوبية واوصلها الى ما هي عليهِ الآن وابنهُ دنس جعلها بلادًا تجارية بحرية وانشأ مدرسة لسبون (لشبونه) الجامعة وخلفهُ ابنهُ الفنسو الرابع الملقب بالشجاع سنة ١٣٢٥ وفي ايامهِ ابتدأت الروابط التجارية بين انكلترا والبرتغال · وانقطعت سلالة آل برغندي الشرعية بحفيدهِ فردينند الاول فخلفهُ اخوهُ يوحنا سنة ١٣٨٥ وهو ابن غير شرعي لابيهِ واشتهر ملكهُ باصلاح بلادهِ وبالمكتشفات الجغرافية والمشروعات التجارية التي جعلت مملكة البرتغال في مقدمة ممالك اوربا البحرية التجارية · وابنهُ هنري الملقب بالبحار الذي توفي سنة ١٤٦٠ بعث البعوث لاكتشاف البلدان القاصية فضم الى بلادهِ جزائر ازور ومداريا والراس الاخضر وغيرها · وفي ايام خلفهِ يوحنا الثاني طاف برثولوميو دياز حول ظرف افريقية الجنوبي (رأس الرجاء الصالح) وفي ايام منوئيل خلفهِ وصل فسكو ده غاما الى بلاد الهند بحرًا

ثم زادت ثروة البرتغال باكتشاف البرازيل وباستعمار ساحل الهند الغربي فصارت اقوى ممالك اوربا كلها واضحت مدينة لسبون مركز تجارة الشرق في الغرب لكن لم تطل ايام عزها فانها طردت اليهود من بلادها وكانت الاشغال المالية في يدهم وهاجر منها كثيرون من سكانها الي مستعمراتها ثم دخلها ديوان التفتيش وتوالت عليها البلايا واسر ملكها سبستيان في افريقية وقتل سنة ١٥٧٨ وخلفهُ عمهُ وبهِ انقرضت سلالة برغندي سنة ١٥٨٠ فتغلب عليها فيليب الثاني ملك اسبانيا وحملت مصائب اسبانيا في حروبها مع انكلترا والمانيا فانتزع الانكليز والهولنديون اكثر املاكها في الهند واميركا الجنوبية ·

وبعد ستين سنة تحرَّرت من اسبانيا وملَّكت عليها دوق برغنزا باسم يوحنا الرابع لكنها كانت قد اضاعت مجدها السالف وخسرت اكثر مستعمراتها ولم يبق لها مستعمرة تستحق الذكر الاَّ برازيل وبقي الضعف مستولياً عليها الى ان قوي شان نابوليون بونابرت وعزم على استئصال دولتها فهرب ملكها من وجههِ ونقل كرسيهُ الى عاصمة برازيل فضمها نبوليون الى فرنسا ونشأت عن ذلك الحرب بين انكلترا وبينهُ وانتهت بخروج الجنود الفرنسوية من البرتغال وبقي ملكها في برازيل الى ان نشبت الثورة في البرتغال ونودي فيها بحكومة دستورية تشبه الحكومة الجمهورية فاسرع اليها ووقَّع الدستور واعترف باستقلال برازيل وسمى ابنهُ امبراطوراً عليها . وتوالت الحوادث على البرتغال الى ان جلس كارلس الاول على سرير الملك في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٩ وهو في السادسة والعشرين من عمرهِ

ومساحة البرتغال ٣٥٤٩٠ ميلاً مربعاً وكان عدد سكانها منذ ثماني سنوات نحو خمسة ملايين ونصف من النفوس اي اقل من نصف سكان القطر المصري الآن واكثرهم اهل زراعة وصناعة ودخْل الحكومة السنوي يبلغ نحو ١٥ مليوناً من الجنيهات ونفقاتها كذلك وقيمة صادراتها نحو سبعة ملايين وقيمة وارداتها نحو ١٣ مليوناً وعليها دين يبلغ ١٨٨ مليوناً من الجنيهات فالبلاد افقر من القطر المصري ودينها اكثر من دينهِ لكن لها مستعمرات واسعة جدًّا فلها بلاد انغولا في الجنوب الغربي من افريقية مساحتها نحو ٥١٧ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو خمسة ملايين من النفوس وهي بلاد غنيَّة يصدر منها البن واللستك والسكَّر والزيت والعاج

وجزائر الراس الاخضر ومساحتها ١٤٨٠ ميلاً مربعاً وسكانها ١٤٧٤٢٤ نفساً

وبلاد لورنز و مركيز وموزمبيق في شرقي افريقية ومساحتها كلها نحو ٣٠٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين من النفوس وصادراتها السكَّر واللستك والعاج والشمع والحجارة المعدنية

وبلاد غينيا في غربي افريقيَّة ومساحتها ٤٤٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٨٢٠٠٠ وصادراتها اللستك والشمع والزيت والعاج

والجزائر التي في خليج غينيا ومساحتها ٤٥٤ ميلاً وعدد سكانها ٤٢ الفاً وقد بلغت قيمة صادراتها منذ سنتين نحو مليون ونصف من الجنيهات

وغوى في بلاد الهند بين مدراس وبمباي ودماو وديو . ومساحة كل ما بقي للبرتغال من بلاد الهند ١٦٣٨ ميلاً وعدد سكانهِ ٥٣١٨٠٠ نفساً

وجزيرة مكاو في بلاد الصين وعدد سكانها ٨٠ الفاً وجزيرة تيمور في ملقا وعدد سكانها ٣٠٠٠٠٠

وجملة السكان في املاكها ومستعمراتها خارج اوربا نحو عشرة ملايين من النفوس فعدد سكانها وسكان املاكها ومستعمراتها خمسة عشر مليوناً

والحكومة دستوريَّة وفيها مجلس اعيان ومجلس نواب وعدد الاعضاء في مجلس الاعيان ٩٠ وفي مجلس النواب ١٥٥ ويحق للملك ان ينقض ما يقرُّ عليهِ المجلسان. وعدد جنودها وقت السلم ٦٢٤٢٧ ووقت الحرب مئة الف واذا دعت الضرورة استطاعت ان تجند ٢٦٠ الفاً وعندها طراد مدرَّع محمولهُ ٣٠٣٠ طنًّا وخمس طرادات محمية وعشرون قارباً من قوارب المدافع محمول الواحد منها من ١٠٠ الى ٨٠٠ طن وقوارب أُخرى من قوارب الطربيد وسفن للنقل والتعليم

والتعليم الابتدائي اجباري في بلاد البرتغال ولكن عدد المتعلمين قليل جداً فقد كانوا نحو ٢١ في المئة من اهلها سنة ١٩٠٠ وفيها من المدارس الابتدائيَّة ٤٥٠٠ مدرسة للحكومة و ١٠٠٠ مدرسة للاهالي ومن المدارس العالية ٤٨ ومدرسة حربيَّة فيها ٢٤٨ تلميذاً ومدارس كثيرة صناعية وتجارية ومدرستان للطب في اسبون واوبرتو ومدرستان للتصوير فيهما ومدرسة للزراعة في لسبون ومدرسة للموسيقى ومدرسة جامعة في كومبرا فيها اكثر من الف تلميذ نصفهم لدرس الحقوق والباقون بعضهم يدرس الطب و بعضهم الفلسفة وبعضهم اللاهوت وبعضهم الرياضيات. وميزانية المعارف نحو ٣٦٠ الف جنيه

اما الملك كارلس الذي قتل غيلة هو ووليُّ عهدهِ في ٢ فبراير فولد في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٣ وخلف اباهُ الملك لويس الاول في اكتوبر سنة ١٨٨٩ وكان مشهوراً بقوتهِ العضلية وحبهِ للفنون ومهارتهِ في التصوير والنحت والموسيقى ومعرفتهِ للغات كثيرة فانهُ كان يتكلم سبع لغات وقد ترجم كثيراً من روايات شكسبير الى اللغة البرتغالية . وزوجتهُ الملكة املي معروفة في هذا القطر ومشهورة بجمالها وحبها للاعمال الخيريَّة ولاسيما المستشفيات وهي تنفق من مالها على مستشفى للاولاد الفقراء وعلى مستوصف عمومي ولا تكتفي بالانفاق من مالها بل تمرّض الاولاد بنفسها . لكن الحركة الفوضوية المنتشرة الآن في اوربا لا تنظر الى الملوك من حيث اشخاصهم بل الى نظام الملكية نفسهِ وغرضها محق هذا النظام ولو باغتيال ملكة وديعة مثل امبراطورة النمسا حتى يكره الملوك سرير الملك ويتجنبوهُ . ومهما كان غرض الفوضويين فانهُ لا يبرر اعمالهم الاثيمة

ماذا تأكل وماذا تشرب

قال المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية ان المسيو فينو صاحب مجلة باريس سأل جماعة من مشاهير الفرنسويين عن رأيهم في شرب الخمر وغيرها من المسكرات او المنبهات ونشر اجوبتهم في مجلتهِ في شهر يناير الماضي . والظاهر انها قديمة لان بعض الرجال المذكورين فيها توفوا منذ مدة وقد لخصها المستر ستد ثم سأل جماعة كبيرة من مشاهير الانكليز من غير رجال السياسة عما يأكلونهُ ويشربونهُ وعما يعدونهُ مقوياً لصحتهم منعشاً لعقولهم ونشر اجوبتهم في الجزء الاخير من مجلتهِ فاقتطفنا منها خلاصة اجوبة اولئك المشاهير من الفرنسويين والانكليز

اجوبة الفرنسويين

﴿ رجال العلم ﴾ كتب الاستاذ برتلو انهُ يشرب قليلاً من الخمر الممزوجة بالماء الربع خمر والثلاثة الارباع ماء . ولا يكثر من شرب الشاي ولا من شرب القهوة ولا من تدخين التبغ لانهُ لا يحتاج الى المنبهات ولا هو واثق انها تنبه . ويظن ان المسكرات تضرُّ كل احد الاَّ في احوال نادرة

وقال فلامريون انهُ لا يشرب الماء ولا يشرب الاَّ خمر برغندي وقد كان جدهُ من صانعي الخمر وعمَّر نحو تسعين سنة . وهو اي المسيو فلامريون يشتغل من الساعة الثامنة صباحاً الى الظهر ويأكل بيضتين في الصباح ولا يشرب شيئاً

﴿ رجال الادب ﴾ كتب جول كلارتي ان احسن شغلهِ وهو صائم وان الالكحول لا يذكي القريحة وان اذكاها فالى مدة وجيزة يعقبها الخمول . وقال زولا انهُ لا يشرب الاَّ الماء وان احسن شغلهِ في الصباح وهو صائم . وقال في مكان آخر انهُ لا يدخن التبغ . وارنست اربر سار في خطة زولا فبلغ التسعين من العمر . وجان رشبن لم يشرب المسكرات مطلقاً ولا يشرب الاَّ الماء ممزوجاً بقليل من عصير الليمون . وهو يظن ان الالكحول سيرد الامم الى التوحش ويحط الانسان عن المقام الذي بلغهُ فوق المخلوقات . وقال هنري لافدان ان الالكحول سم زعاف وخير شراب يشربهُ الانسان لانعاشهِ هو الماء . وقال فكتورين ساردو ان الالكحول سم وهو يشرب بدلاً منهُ فنجاناً من القهوة ثلاثاً في النهار . وقال فردرك مسترال انهُ يشرب قليلاً جداً من الخمر على الطعام وهو الآن في السابعة والسبعين من عمرهِ وعندهُ ان الالكحول يضعف القريحة وقد عاش ابوهُ ثمانين سنة ولم يشرب الاَّ قليلاً من الخمر ممزوجةً بكثير من الماء وعاشت امهُ اكثر من ثمانين سنة ولم تشرب الاَّ

الماء . وقال بول بورجه ان الاشربة الروحية تعيق تشغيل العقل مهما كانت كميتها قليلة ، وقال جول له ماتر انهُ لا يرى فرقًا في اشغالهِ العقليَّة التي اشتغلها وهو يشرب قليلاً من الخمر والتي اشتغلها بعد ان ترك الخمر واقتصر على شرب الماء . وقال ملشيور ده فوجه انهُ يشرب الماء والخمر ولكنهُ اشار على الكتَّاب الشبان ان لا يشربوا الاَّ الماء اذا كان بهم ضعف هضم او ضعف عصبي واشار عليهم ايضاً ان ينقطعوا عن الاشغال العقليَّة اذا كانوا كذلك ولكن اذا كان الشاب سليمًا من كل آفة معتدل المزاج فليشرب ما شاء

وقال بول مرغريت ان الالكحول لا يزيد المقدرة على الاشغال العقلية . وقال اخوهُ فكتور انهُ لا يشرب الاَّ الماء لانهُ يعتقد ان الالكحول من اشد البلايا على نوع الانسان لكنهُ لا يحرّم شرب القليل من الخمر في بعض الاحيان فان الخمر تنعش ولكن الالكحول يميت . وقال بير لوتي انهُ يكاد يكون مسلمًا فانهُ لم يشرب الخمر ولا البيرة ولا شيئًا من الاشربة الروحية . وقال موريس باره انهُ يشرب الخمر ممزوجة بالماء وقلما يشرب البيرة ولكنهُ لم يشرب الالكحول قط . وان المنبهات على انواعها غير لازمة لمن يشتغل اشغالاً عقلية

المصورون والنقاشون كارولس دوران لا يشرب الاَّ الماء . و بوغرو بقي مقتصرًا على شرب الماء الى ان صار عمرهُ ٢٥ سنة ثم مضى عليهِ خمسون سنة وهو يشرب قليلاً من الخمر وعاد بعد ذلك الى الاقتصار على الماء . ومدح اوغسط رودين شرب الخمر وقال ان الامتناع عنها ناتج عن انها ليست نقية . وجول برتون يشرب كل يوم كأسًا من الخمر ونصف لتر من البيرة . وقال جيروم ان المصورين لا يستطيعون شرب المسكرات لانها تحط قواهم العقلية . وقال بنيامين كونستان انهُ يفضل الشاي كنبه وهو يشربهُ سخنًا ولو في فصل الحر . وقال دغنان بوفر انهُ يشرب الماء والخمر والبيرة ولا يعلم هل تنفعهُ او تضرهُ . وقال اوجين كاربر ان الالكحول ضار جدًّا

الموسيقيون قال سان سين انهُ يخاف من الالكحول ولكنهُ يشرب القهوة احيانًا و يفضل الماء القراح على كل شراب آخر . ومسان لا يشرب الاشربة الروحية . وشارل لكوك يشرب قليلاً من البيرة والخمر ولكنهُ قال ان المنبهات تضر الموسيقيين

هذا من قبيل الفرنسويين اما مشاهير الانكليز الذين سألهم المستر ستد فقد نشر اجوبتهم ووصف كلاًّ منهم وصفًا موجزًا قبل ان ذكر جوابهُ وهاك خلاصة ما ذكرهُ

السر ثيودر مارتن

ولد سنة ١٨١٦ ولا يزال متمتعًا بالصحة التامة وهو مؤرخ وشاعر وفيلسوف وهو الذي

اختير لكتابة سيرة ابي ملك الانكليز وقد قال في جوابهِ لمستر ستد انهُ يأكل السمك والطير واللحم وطعامهُ قليل وهو حريص على ان يكون مطبوخاً جيداً ويتجنب التوابل لانهُ يكرهها ولا توافقهُ فيقتصر على الطعام البسيط وعلى الاعتدال فيهِ ويشرب قليلاً من الخمر الممزوجة بالماء وقد قلَّ شربهُ لها رويداً رويداً بعد ان اكتهل . ومنذ عشرين سنة الى الآن صار يكتفي بكاس من الخمر (بورت) ممزوجة بكثير من الماء . وقد وجد ان فنجان القهوة احسن منعش يرد القوة بعد الاشتغال العقلي الشاق . وهو يكره التبغ ولا يحتمل رائحتهُ . وقد اشتغل اشغالاً عقلية شاقة ولم يرَ نفسهُ محتاجاً الى شيء من المنبهات . وبقيت قوتهُ العقلية على مضائها لانهُ صحيح البنية محبٌّ للشغل معتدل في المعيشة

الدكتور الفرد رسل ولس

هو اكبر علماء الطبيعة لانهُ الآن في السادسة والثمانين من عمرهِ وهو قسيم دارون في مذهب النشوء ومن الاحرار المتطرفين ويكاد يكون من الاشتراكيين ولا يزال من ابلغ الكتَّاب على ما بلغهُ من الشيخوخة . وقد قال في جوابهِ انهُ كان يأكل من كل طعام يقدَّم اليهِ في السبعين السنة الاولى من عمرهِ ويحب الفطائر والمعاجين ثم اضطرَّ ان يترك الاطعمة النشوية ويقتصر على وجبة واحدة في النهار من اللحم المطبوخ جيداً فشفي من الربو المزمن وكان يشرب الخمر والبيرة بالاعتدال الى ان صار عمره ٢٥ سنة فانقطع عنهما تماماً . ولم يدخن التبغ قط ولكنهُ يشرب الشاي والقهوة ويرى انهُ يشتغل احسن في الصباح والمساء بعد فنجان من الشاي

السر وليم هجنس

هو اكبر علماء الفلك فانهُ الآن في الرابعة والثمانين من عمرهِ . قال انهُ يأكل قليلاً من اللحم مرةً في النهار وكثيراً من الخبز الجيد والاطعمة النشوية ويشرب رطلاً من اللبن ويأكل الفواكه في ابانها والخضر الطريئة ويشرب القهوة واللبن في فطورهِ والشاي الصيني بعد الظهر وقلما يشرب غير الماء ولا يدخن التبغ مطلقاً

المستر وليم روستي

هو شاعر ومصور ولد سنة ١٨٢٩ فيكاد يبلغ الثمانين قال انهُ يأكل الى حد الشبع واكلهُ معتدل ولا يعاف شيئاً فيأكل اللحم والسمك والخضر ويحب الكعك والحلوى . وقد اصيب بالنقرس منذ سنة ١٨٧٨ فاضطرَّ ان يحتمي مدة سنتين ثم ترك الحمية لانهُ رأى النقرس قد زال او توقف . وكان يشرب رطلاً من البيرة كل يوم الى سنة ١٨٧٩ فتركها حينئذٍ

بسبب النقرس ولم يعد اليها فلا يشرب الآن الاَّ الماء ويشرب ايضاً الشاي والقهوة واذا دعت الضرورة الى شرب كاس من الخمر شربها · ويكثر من تدخين التبغ من الصباح الى المساء ولا يظن ان التدخين اضرَّ بهِ اقل ضرر الاَّ في عدم انتظام هضمهِ

السر وليم كروكس

هو من اشهر علماء الكيمياء والطبيعة وهو الآن في السادسة والسبعين وقد اجاب انهُ يأكل ما يريد من غير حساب ولكنهُ معتدل في اكلهِ ويشرب الخمر ويدخن التبغ وصحتهُ جيدة دائماً

لورد روبرتس

هو اشهر قواد الانكليز الآن ولد في بلاد الهند منذ ست وسبعين سنة وانتظم في الجندية وعمرهُ ١٩ سنة وامتاز في كل المعارك التي حضرها وهو يرى وجوب الاعتدال في الاكل والشرب والامتناع عن التدخين او الاقلال منهُ

السر هنري رسكو

هو ايضاً من اشهر علماء الكيمياء ولد سنة ١٨٣٣ ويرى وجوب الاعتدال في الاكل وقال انهُ ممنوع عن شرب الخمور لانهُ مصاب بالنقرس وعندهُ ان الاشربة الروحية تضرُّ من يشتغل اشغالاً عقلية وان اليونان اصابوا في قولهم ان الماء افضل كل شراب · وهو يدخن التبغ باعتدال ومن رأيهِ انهُ يجب منع الصغار عن التدخين

لورد افبري

وهو المعروف ايضاً عند قراء المقتطف باسم السر جون لُبك العالم الطبيعي صاحب كتاب مسرات الحياة · وقد اجاب انهُ يأكل الطعام البسيط ولا يكثر منهُ ويشرب قليلاً من الخمر او البيرة ولا يدخن

السر جون غورست

هو والد السر الدن غورست ومن رجال السياسة المشهورين ولد سنة ١٨٣٥ · قال انهُ لما بلغ الستين من عمرهِ استشار السر وليم جنر الطبيب المشهور عما يجب ان يفعلهُ لحفظ صحتهِ فقال لهُ نم كل يوم ثماني ساعات كاملة ولا تنهض من فراشك قبل ان تتمها الاَّ اذا احترق بيتك · وليس المراد ان تبقى نائماً كل هذه المدة بل ان تبقى في فراشك ولو كنت مستيقظاً تقرأ كتبك وجرائدك · فعمل حسب قولهِ وانتفع بهِ جدًّا واشار بالاعتدال في الطعام وتقليل اللحم كلما تقدم الانسان في السن وبالاقتصار على شرب الماء وبالامتناع عن التدخين

اصل النبط في البتراء

تابع ما قبلهُ

كنت أُقدّر أني انهي هذه المقالة في العدد الماضي من المقتطف ولكنَّ الكلام تغلغل بي الى اكثر ما قصدت اولاً فاستهوتني حروب نبوخذنصر في اليهوديَّة الى ذكر مسائل كثيرة رأيتها تُستنتج من كتابات ارميا النبي التي راجعتها في اثناء كتابتي القطعة المارة · وقد راجعتها لا لانها كتابات مقدسة فقط بل لانها ايضاً كتابات رجل معاصر فينبغي الاعتماد عليها والوقوف بها كما يعتمد على الآثار المخطوطة في الاجر البابلي بل هي من بعض الوجوه احرى بالوثوق من كتابات الاجر التي سطرها ملك بابل عن نفسهِ او سطرها لهُ قوم من مؤرخيهِ لان هولاء كانوا يتزلفون الى مرضاتهِ باعظام شأنهِ والاطراء لهُ على ما أتى بهِ سواءٌ كان ما اتى بهِ يستحق الاطراء او لا يستحقهُ على حين ان النبي ارميا لم يدفعهُ الى كتابة ما كتبهُ من اخبار الملك شيءٌ من هذا ولذلك هي كما قلنا احرى بالوثوق من كتابات المعاصرين من اهل بابل ايٍّ كانوا ومهما كانت صفتهم

كانت بابل في ايام عظمتها الاولى متقدمة على نينوى فلما تقدمتها نينوى عظم عليها ذلك وحاول ملوكها او ولاتها او اهلها مراراً ان يرجعوا بها الى سابق عهدها من العظمة والسودد فلم يفلحوا الى ان قام نبوبلاسر فاستغنم فرصة انحطاط الاشوريين وحالف الماديين عليهم على ان يكون هو وارث عز اشور وولاياتها في الجزيرة العراقية وجميع البلاد غربي الفرات بل في مصر وبلاد العرب ايضاً فترجع بذلك بابل الى عزها ومكانتها الاولى قبل ان بلغت نينوى ما بلغتهُ في ايام ملوكها العظام الذين كانوا من كبار قادة العصور الخالية

فلما كانت موقعة كركميش وانتصر نبوخذنصر ذلك الانتصار العظيم على فرعون نخو وجيوشهِ رأى في انتصارهِ ما يحقق لهُ تلك الاماني التي كانت تجول في خاطر ابيهِ فشمَّر لتحقيقها وما زال يحارب حتى رأى عاصمتهُ مدينة العلم والغنى والدين والسلطة وبعبارة اخرى اعظم مدينةٍ في تلك الايام فانهُ اخضع لسطوتها الجزيرة العراقية والديار الشاميَّة من كركميش الى غزة بما فيهِ بادية الشام من الابلة الى ايلة وجعلها كلها ولايات بابليَّة تدين بطاعتهِ وتؤدي اليهِ الجزية

وحارب العرب ايضاً في بلادهم فوطئ نجداً والحجاز واستلحم اهلها من العرب العدنانيين ودوّخ تهامة واليمن وجعلها من ولاياتهِ واسكن قومهُ من تجار البابليين والكلدان في قلب اليمن في مخلاف جهران وحقل قتاب وفي اكثر الفرَض البحرية من المهجم الى ايلة فضلاً عن

انهُ اخضع عمان وارض البحرين • وكانت آخر بلاد حاربها مصر فتغلب على اهلها واذلهم لسطوتهِ ورجع من هناك بالاسلاب والغنائم الكثيرة

ومما هو محقق لا يرتاب فيهِ انهُ حارب الادوميين وخرَّب جبلهم سعير • وقد مرَّ بنا اشارة النبيين ارميا وحزقيال الى الادوميين وما توعداهم بهِ من الخراب والدمار عن يد نبوخذنصر . فتم هذا الوعيد وكانت جبال عيسو خراباً وميراثهُ لذئاب البرية في ايام ملاخي (انظر هذا السفر الاصحاح الاول)

لم تطل ايام نبوخذنصر بعد ان دوَّخ مصر حتى مضى في سبيلهِ ولكن لم يقم بعدهُ مثلهُ على بابل وربما لم يقم قبلهُ من هو اعظم منهُ الَّا ان يكون الملك همورابي

وكذلك لم تطل مدة الدولة البابليَّة بعد وفاتهِ الَّا نحوًا من ثلاثين سنة . غزا الفرس بعدها بابل تحت قيادة كورش فافتتحوا المدينة وافتتحوا بافتتاحها كل الولايات البابليَّة التي كانت لنبوخذنصر لان هذه جميعها خضعت للفرس من غير ان يُرمى عليهم سهم واحد في كل عَبر النهر حتى الصوريون كانوا يأتون بخشب الارز من لبنان حسب اذن كورش ملك فارس لهم (انظر سفر عزرا الاصحاح الثالث)

وبقيت لغة الدواوين في الدولة الفارسيَّة على عهدها في ايام نبوخذنصر اي اللغة الارامية فكانت القيود والسجلات والمعاريض تُكتب فيها وتترجم اليها ايضاً • وقد ذكرنا ما ذكرناهُ توطئةً للقول ان هيئة البلاد في فلسطين وشمالي العربيَّة لم تتغير في ايام الدولة الفارسيَّة عما كانت عليهِ في ايام نبوخذنصر بل بقيت على حالها نسخة واحدة الى ان قامت دولة اليونان

ولما قام الاسكندر الكبير وغزا مملكة فارس خضعت لهُ امم سوريا وفلسطين التي كانت خاضعة للفرس لم تقم امةٌ منها في وجههِ الَّا الصوريون ثم مات الاسكندر واقتسم قوادهُ البلاد • وكان من جملتهم انتيغونوس وابنهُ ديمتريوس وعلى عهد هذين نحو ٣١٦ ق٠م ذكرت مدينة البتراء وكانت حينئذٍ مدينة قوية ذات غنى وتجارة تتجاسر دون غيرها من المدن على مقاومة ديمتريوس بن انتيغونوس وكان اهلوها يعرفون بالنبطيين وكانوا متميزين عمَّن سواهم من بقية الامم اعني الادوميين والموابيين والعمونيين والعرب واليهود • وواضح مما ذكرناهُ سابقاً انهم اي النبطيين لم يكونوا في البلاد ايام الفتح البابلي ولا استجدُّوا فيها على عهد الدولة الفارسيَّة فلم يبقَ لنا الَّا القول انهم نزلوا البتراء في ايام نبوخذنصر وانهم جاءوا من بابل وجوارها لان لغتهم كانت اللغة الارامية

وللنظر الآن فيما يؤيد هذا المدَّعى ولا بدَّ في تأييدهِ من الاستناد على سندٍ تاريخي

وهذا السند لا نعدمهُ في اسفار المكابيين فان السفر الاول من هذه الاسفار يذكر لنا الانباط في ايام يهوذا المكابي واليك ما جاء لصاحب هذا السفر

قال في الاصحاح الخامس والعدد ٢٤ و٢٥ ما نصهُ

واما يهوذا المكابي ويوناتان اخوهُ فعبرا الاردن وسارا مسيرة ثلاثة ايام في البرية فصادفا النبطيين (النباطيين) فتلقوهما بسلام وقصوا عليهما كل ما اصاب اخوتهما في ارض جلعاد وان كثيرين منهم قد حُصروا في بصرة وباصر وعليم وكسفور ومكيد وقرنايم وكلها مدن حصينة عظيمة وانهم ايضاً محصورون في سائر مدن ارض جلعاد والقوم مستعدون لمحاصرتهم غداً في الحصون والقبض عليهم وابادتهم جميعاً في يوم واحد — الى ان يقول فارسل يهوذا رجالاً يكشفون امر الجيش فاخبروهُ قائلين ان جميع الامم التي حولنا قد انضمت اليهم وهم جيش عظيم جدًّا وقد استأجروا العرب يظاهرونهم ونزلوا في عبر الوادي

وجاء ايضاً في الاصحاح ٩ والعدد ٣٣ — ٣٥ وبلغ ذلك يوناتان وسمعان اخاهُ وجميع من معهُ فهربوا الى برية تقوع ونزلوا على ماء جب أسفار وارسل يوناتان يوحنا اخاهُ بجماعة تحت قيادتهِ يسأل النبطيين اولياءهُ ان يعيروهم عدتهم الوافرة

والذي يظهر من الاعداد التي ذكرناها . اولاً ان النبطيين كانوا اولياء ليهوذا المكابي واخوتهِ . ثانياً انهم امة غير العرب وغير الموابيين والعمونيين والادوميين . ثالثاً ان مركزهم كان بعد ثلاثة ايام في البريَّة شرقي الاردن من حيث عبر المكابي بقرب اريحا . رابعاً ان قد كان عندهم عدة وافرة يمكنهم الاستغناء عنها واعارتها . وكل ذلك يشير الى انهم كانوا في البتراء قرب بصرة او باصر لان هذه المسافة اي ثلاثة ايام لا تنطبق على مدينة غير البتراء ويشير ايضاً الى انهم كانوا تجاراً لان عندهم كثيراً من الاسلحة يستطيعون ان يعيروها

ومن يراجع سفر المكابيين في الاصحاح الخامس يرى ان اول مدينة وصلها يهوذا واخوهُ بعد ان تركهما اصحابهم النبطيون كانت مدينة باصر او بصرة ثم انصرفا من هناك الى المصفاة وهذا لا يدع مجالاً للشك ان النبطيين كانوا في البتراء لان باصر او بصرة اقرب مدينة اليها اذا توجه اليها جهة البريَّة

ثم يظهر لنا من مراجعة تاريخ يوسيفوس انهُ كان يعتمد على سفر المكابيين وقد تابعهُ حرفاً بحرف ومآل هذه المتابعة انهُ كان يعرف النبطيين المشار اليهم وانهم قوم متميزون عن الادوميين والعرب والعمونيين وكتاباتهُ صريحة ان البتراء كانت مدينتهم وانهم ما زالوا على استقلالهم عن العرب الى ايام اسكندر جانيوس بن ارستوبولس بن يوحنا هركانوس ابن

سمعان اخي يوناتان ويهوذا المكابي فانهُ بعد وفاة هذا الملك اليهودي ورد اول ذكرٍ يفهم منهُ ان الانباط او النبطيين في البتراء خضعوا للعرب وكان لارتياس ملكهم قصر فيها اي في البتراء . ومن ذلك الحين فما بعدهُ اخذ ملوك العرب الارتياسيون (اي الذين اسماء ملوكهم اغلبها ارتياس او حارثة) يُلقبون ملوك النبط ويُطلق عليهم تارة لقب ملك العرب واخرى ملك النبط ومع ذلك كان ظاهرًا جليًا ان الجنسيَّة مختلفة بين العرب والنبط وإن كان الملك واحدًا . وما زال الامر كذلك الى ان انقرض ملْك هولاء من البتراء وجُعلت ولاية رومانية سنة ١٠٥ بعد المسيح

ماذا يعرف مؤرخو العرب عن النبط

يعرف العرب ومؤرخو العرب ان النبط غير العرب وانهم كانوا يسكنون ارض البحرين وسواد العراق وأن كان منهم قوم يعرفون بانباط الشام وانهم كانوا في عمان ايضًا وفي قلب البلاد اليمنيَّة في حقل قتاب واعالي جهران اما في عمان فاستعربوا واما في ارض البحرين فمع ان العرب ازالوهم من هناك وسكنوا مكانهم في هجر البحرين وذلك في بدء التاريخ المسيحي او قبلهُ بمدةٍ غير معروفة الاَّ انها ليست طويلة عاد الانباط فكثروا في ارض البحرين حتى غلبت نبطيتهم على عروبية العرب وعليهِ المثل المشهور المتواتر عند العرب اهل عمان نبط استعربوا واهل البحرين عرب استنبطوا . وفي اول الفتوحات الاسلامية كانوا يسمون الموالي ايضًا وكانوا في سواد العراق من البصرة الى الكوفة

وكان اكثر اصحاب الصنائع وارباب التجارة هناك منهم واشتهر بعضهم بالبخل وقرض الاموال بالربا لرؤساء القبائل العربيَّة واشتغل بعضهم بالعلم والفقه وكان منهم كثيرون من علماء النحو واللغة واستقضي منهم جماعة منهم نوح بن درّاج . وكانوا يعيَّرون بجهل انسابهم وعليهِ يروى الحديث عن الامام عمر بن الخطاب لا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن نسبهِ قال انا من بلد كذا . وبالاجمال نقول ان العرب يعرفون الانباط معرفة تامة لا اشتباه فيها منذ اوائل التاريخ المسيحي الى اليوم وليس منهم من يشتبهُ عليهِ الفرق بينهم وبين العرب . لكن ليس من ينكر ايضًا ان الانباط هم والعرب من الفصيلة الساميَّة فان العرب يرجعون الى سام عن طريق يقطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد والنبط يرجعون اليهِ رأسًا فانهم اولاد ارام بن سام وقد اختلط هؤلاء الاراميون من عهد بعيد جدًّا بالعرب وامتزجوا بهم في الديار البابلية فانقلب العرب هناك انباطًا وانقلب النبط في شبه جزيرة العرب عربًا . قيل ويرجح هذا القول ان الكلدان في عهد نبوخذنصر كانوا عربًا سكنوا بلاد

بابل ويظنّ البعض انّ لفظ الكلدان محرَّف عن بني خالدٍ قبيلةٍ لا تزال عرباً الى حدّ هذه الساعة في تلك الجهات قرب الحفير وما يجاوره ،

عود على بدء

قام نبوخذنصر على عرش بابل نحو سنة ٦٠٧ قبل المسيح فوجَّه غزواتهِ الى الحجاز ونجد واستلحم العدنانيين هناك حتى كادوا يفنون وضرب الادوميين وخرَّب جبلهم سعير واخذ منهم مراكزهم التجارية التي كانوا اقاموها بين أيلة وخليج فارس وكان قبل ذلك حارب ابناء عمهم في اليهودية واجلا قسماً كبيراً منهم الى بلاد بابل وهرب كثيرون ممن بقي الى ارض مصر فقلّ الساكن في بلادهم وكانت اخصب بالطبع من اكثر اراضي ادوم فانتقل كثيرون من الادوميين وسكنوا في جنوبي يهوذا الى مدينة حبرون المعروفة اليوم بالخليل ولما اشتدَّ عليهم نبوخذنصر واخذ مدينتهم سالع (البتراء) وما سواها من المراكز التجارية في تيماء والحجر تهارب كثيرون من وجههِ وسكنوا في اليهودية ايضاً وخلت بلادهم من كثيرين منهم . وقد المحنا ان نبوخذنصر كان تاجراً وملك قوم تجار وانهُ قصد ان يحوّل وحوَّل طريق التجارة عن ايلة والسويس الى عاصمة بلادهِ . فمن المستحيل اذن ان يخرب المراكز التجارية بين خليج فارس وشواطئ المتوسط فلا بدَّ اذن من ان يكون بعد حروبهِ في شمالي العربيَّة قد اسكن هذه المراكز اقواماً لا يخاف عاديتهم ومن غير العرب الذين حاربهم ايضاً وكاد يفنيهم وليس من يقوم بهذه المهمة قياماً احسن من قومهِ التجار من بابل وجوارها فجاءوا واستوطنوا تلك الجهات ومن جملتها الحجر وتيماء والبتراء وغير هذه من المراكز التجارية البرية وعلى سواحل البحر الاحمر وخالطهم في جميع هذه المراكز ضعفاء الادوميين اصحابها الاولين وبعض العرب ولعلَّ الادوميين كانوا اكثر عدداً او يماثلون النبط الاَّ ان العزّ والصولة كانا للنبط لانَّ الدولة منهم والتجارة في ايديهم . وما زالوا كذلك كل ايام نبوخذنصر وايام خلفائهِ الى ان قامت الدولة الفارسية فلم تتعرَّض لهم وتركتهم وشأنهم وحكمهم حكم غيرهم من الامم الخاضعة لهم . بل كان الفرس من جهة خيراً لهؤلاء المستعمرة من النبط من نفس دولتهم البابلية لان الفرس لم يكونوا تجاراً فلم يزاحموهم على تجارتهم وضعفت تجارة بابل بما كان من انتقال دار الملك عنها فقلّت مزاحمة اهلها لهم واصبح قسم عظيم من التجارة ينقل رأساً الى محطاتهم التجارية من غير ان يمرّ على بابل اي رأساً من خليج فارس فكثر غناهم مع الايام وعلى نسبة ذلك زاد من قوتهم واصبح العرب حملة لتجارتهم ومصرَّفين بامرهم . وانتقل اليهم عزّ الادوميين وسلطتهم واصبح كثير من

قبائل العرب ينفرون على صراخهم اذا استصرخوهم وبقوا على ذلك نحواً من ٢٠٠ سنة ولما احتكَّ بهم القائد اليوناني انتيغونوس وابنهُ ديمتريوس بعد موت الاسكندر وجدهم على ما وجدهم عليهِ من القوة ووجد الوفا من قبائل العرب حواليهم ينفرون معهم اذا استنفروهم وبقوا على عزّهم هذا حقبةً من الدهر الاَّ انَّ الايام لا تدوم على حالة واحدة فان البطالسة قاموا في مصر واصبحت تراثاً لهم فوجهوا عنايتهم الى البلاد فازدادت ساكناً وازدادت علماً وصناعة وتجارة فاصبح كثير من مواني البحر الاحمر في ايديهم وغيروا خطة التجارة شيئاً عما كانت عليهِ فتحوَّل قسم كبير من التجارة عن البتراء وكذلك اضطربت الاحوال في بابل والجزيرة وخليج فارس وكثرت الحروب والمخاصمات هناك وقامت سلوقية تزاحم بابل على التجارة فضعف شأنها نوعاً عما كان عليهِ قبلاً . وفوق ذلك انشأ ملوك سوريا في انطاكية خطاً تجاريًّا من العراق الى مدينتهم فقلَّل هذا شيئاً من اهميَّة البتراء وقلَّ غناها على نسبة ذلك فقلّت قوتها. وعادت العرب فكثرت في البلاد حولها في بلاد مواب وبني عمون وما بين غزَّة وجبال الشراة والظاهر ان كثيرين من عرب اليمن وحضرموت من قبائل قضاعة هاجروا في بداية المئة الاخيرة قبل المسيح الى جهات فلسطين وسوريا فاصبح لهم شأن وشوكة واجتمعت حولهم كلمة العرب لما اعتادهُ العدنانيون من الانقياد اليهم فاضعف ذلك من سطوة البتراء ونفوذ تجارها ورؤَسائها وخالط رؤَساء العرب هؤُلاء اهل البتراء لانهم اهل حضارة مثلهم وعمَّروا قصورهم في مدينتهم فكانوا يقوون سنة بعد سنة ويكثرون واولئك باقون على ما كانوا عليهِ ان لم نقل انهم كانوا يضعفون وما زالوا كذلك حتى كثر العربُ النبط واصبحوا ذوي السؤدد والرئاسة دونهم وانتقل اليهم الامر فاصبحوا ملوكاً عرفوا بملوك النبطيين في البتراء ولا يبعد انهم كان لهم ملك خاصٌّ قبل ان استولوا على البتراء وجعلوها عاصمةً لهم في ايام ارتياس معاصر بمبيوس القائد الروماني المشهور بل لا يبعد انهم استولوا على هذه المدينة قبل زمن بمبيوس فكان لهم رئاسة وسؤْدد فيها ولكن لم يكن لهم ملك على شاكلة ما كان لهم في ايام ارتياس هذا ومن جاء بعدهُ الى ان انقرض ملكهم في سنة ١٠٥ قبل المسيح كما المعنا

وخلاصة ما نختم بهِ بحثنا هذا ان الانباط خليط من الادوميين وتجار من الكلدانيين والبابليين الذين جاؤوا الى البتراء في ايام نبوخذنصر وانضم اليهم من حين الى آخر من تحضَّر حواليهم من العرب العدنانيين اولاد اسماعيل ثم انضاف الى هؤلاء كثيرون من مشايخ ورؤساء القحطانيين من بني قضاعة الذين هاجروا من اليمن وحضرموت في اول المئة الاولى قبل المسيح او ما قبل ذلك بمدة قصيرة . ولا يبعد ان يكون انضم اليهم ايضاً كثيرون من

اليهود كانوا يسقطون اليهم من حين الى آخر للتجارة تارةً وللاحتماء بهم تارةً اخرى فان الذين سكنوا المدينة وجهات خيبر وكثروا هناك لا يستبعد عليهم ان يسكنوا في البتراء ايضاً فامتزجت كل هذه القبائل معاً في مدينة البتراء وعُرفوا بالنبط الاَّ اني ارجح مما مرَّ ان الدم الغالب فيهم هو دم العشيرة الاراميَّة عشيرة ابرهيم الخليل • ومن البتراء انتقلوا الى مكة والطائف ومنهم نشأت بيوت من اعظم بيوتات العالم كما سنبين ذلك في المستقبل ان شاء الله

جبر ضومط

سوانح وبوارح

بكيتُ حتى هوى من انملي القلمُ   وكدتُ اجري ويجري والدموعُ دمُ
ابكي على الظعن لا رسم ولا طَلَلٌ   واندب الركب لا ربعٌ ولا خيمُ
ان الربوع ربوع القوم من مضرٍ   تضاءلت بعدها الاطلال والرسمُ
رسم محيلٌ وآثارٌ مصردةٌ   اقوى بها الاقويان الدهر والقدمُ
اخنى عليها الذي اخنى على لبَدٍ   حتى استوت عندها الاجراع والاكمُ
اهبتُ فيها اناغي الشرق مضطرباً   والقلب مصطهرٌ والجسم مضطرمُ
استنزف الحمم الدكناء من كبدي   فتستحيل دماً في اعيني الحممُ
تغلي مراجل اضلاعي فاقذفها   هذا البخار وذاك الباخر الرذمُ

استنشد الكتب لا سفحٌ ولا كثبٌ   وانشد العلم لابان ولا علَمُ
يا شرق شرق العلى رُحماك هل بليت   تلك المدارك او ابلى بها الهومُ
تلك المدارك كان الدهر دائرةً   وهنَّ اطلسها الدوَّار لا القممُ
تلك المدارك كان الشرق ضاحيةً   وهن ديمتها الوطفاء لا الديمُ
هذي المعاهد فاستنطق هيا كلها   تجبك "حالاً" ولكن نطقها بكمُ
لهفي على الشرق او لهفي على امم   كانت تدين لها الاجيال والامُ

تقسم الدين فيما بينهم قسماً   واي دين بهِ الابناء تنقسمُ
لو كان ما صوَّروهُ اليوم دينهمُ   لم يتبع الدين فيما قد مضى نسمُ

(اغاية الدين ان) تقلوا مخالفكم   (يا امة ضحكت من جهلها الامم)
ام غاية الدين ان يزري بدينكم   (من دينهُ الدهر والتعطيل والقدم)
قد كان ذاك ولا عتبى ولا حرج   شوهتموهُ فشاهت فيكم النقم
فجردوا الدين عن دنيا يذال بها   (كيما تزول شكوك الناس والتهم)

عفوًا بناةَ العلى في عقر داركم   عقرتم المجد لا عهد ولا ذمم
اين العقول التي كانت اذا اعتقلت   تضوي بها البيض او تجلى بها الظلم
ملكتم المرهفين السيف منصلتًا   ما استلَّ الا ومنهُ المجد مستلم
وافتدتم القلمَ السيَّال منبريًا   ما سال الا وساد القسط والسلم
شجوًا على السيف او شجوًا على قلمٍ   اصبحتم اليوم لا سيف ولا قلم
عداكم الخسف لا عير ولا وتد   اين الاباة واين العزُّ والشمم
لم يبقَ غير رنين الثاكلات لكم   فاين قيثارة الالحان والنغم

مهلاً بني الغرب لا خوف ولا جزعٌ   لم يبقَ للشرق الاَّ النوح والألم
فلا ترعكم بهذا الشرق جامعةٌ   فالجمع مفترق والحبل منفصم
ولا يهولنَّكم ما في جرائدهِ   فتلك تاجرة والسلعة الكلم
كم مرعد فيهِ بالاقوال مبترمٍ   لكنهُ ان دعي الرعديد والبرم
ومرتدٍ بردة الاخلاص مسهمةً   لكنها السهم فيهِ السم لا الدسم
هل الشجاعة يا شرقي في فِقرٍ   ام صين للطرس منك البأس والكرم
تجود بالقصف ما يرمي بقاصفةٍ   وانت في الجود ذاك الاقصف الجلم
تخرُّصٌ بنهوض دون عدتهِ   خلابة الحلم غرَّارٌ بها الحلم
ايطمح الشرق ان يرقى وموقفهُ   (شهب البزاة سواءٌ فيهِ والرخم)
او يستوي فوق عرش المجد مجتمع   (اذا استوت عندهُ الانوار والظلم)
وهل يسود اناس اصبحوا شذرًا   وجلهم ما لهُ همٌّ ولا سدم
هذي نواميس هذا الكون شاهدة   لها الوجود يزكي والنهى حكم

سمعت للشرق في الآراد هينمة   يسامر الزهر فيها وهي تضطرم
سيارة الافق ما ذنبي اليك وما   جنيت يا فلكًا دارت بهِ الامم

ويا ثوابت ما للزهر مطلعها   بالغرب لألأة والغرب يبتسمُ
وانت يا قطب قل لي كيف تتركها   فوضى تدور ولا حكم ولا حكمُ

فهيمت من بنات الافق ناصعة   ونورها ينضوي طورًا وتبتسمُ
كنتم وكانت ديار الشرق تنشدكم   (قف بالديار التي لم يعفها القدمُ)
فاصبحت والبلى عفَّى معالمهـا   (بلى وغيَّرها الارواح والديمُ)
وصاح منها صدًى يدوي بمشرقكم   لكن بنو الشرق في آذانهم صممُ
يقول شرق اشدّْ لا تقضِ من جزع   الشرق شرق ولكن غيرُها الاممُ

بيروت   م — خ

الحنين الى لبنان

هاج اشواقي الى الدمنِ   طائر غنى على فننِ
ايهِ يا قمريُّ ان بنا   فوق ما يبكيك من شجنِ
ولوَ انَّ الدمع منطلق   لهمى كالعارض الهتنِ
انمـا بالرغم احبسهُ   خشية اللوام واللسنِ
حبذا المصطاف في جبلٍ   ينطح الجوزاء بالقننِ
موئل الاحرار من قدمٍ   وأُباة الضيم من زمنِ
ليس لبنان لمكتسح   بضعيف العزم ممتهنِ
سل ملوك الروم كيف غدا   عرشهم مستوهن الركنِ
علَّم الاهلون جيشهم   فنَّ نظم النحر باللدنِ
فبنو لبنان اسد وغىً   أُطلقت فيهم يد الفتنِ
واختلاف الدين اورثهم   علل الاحقاد والإحنِ
ليت ذا عزم يضمهم   ضمة الاعضاء في البدن
فيعيدوا الماضيات من المجد والعلياء للوطنِ
يا بني أُمي اذا حضرت   ساعتي والطبُّ اسلمني
اجعلوا في الارز مقبرتي   وخذوا من ثلجهِ كفني

داود عمون

الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية

بلغت الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية شأوًا بعيدًا من الاتقان والاحكام بحيث كان يستبضعها تجار الافرنج ويحملونها الى بلادهم فيتهافت الامراء والاغنياء على احرازها وتحسب من اعظم مظاهر الترف والفخر ما يتنافس بهِ الكبراء

وتفوُّق تلك الصناعة على غيرها كان ولا ريب من العوامل الكبرى على اتساع تجارة البلاد وانماء ثروتها وحسبنا بما دوَّنهُ عنها مؤَرخو الافرنج والعرب وما تضمُّ عواصم العالم المتمدن من باقيات تلك الصناعات الشاهدة على ما بلغتهُ من التبريز في الظرف والاحكام

ومن المصنوعات السورية الخزف وقد وجد العربُ معاملهُ في وادي الفرات في القرن الثامن فنقلوهُ الى سائر ممالكهم وكانت هذه الصناعة قد اوشكت تزول ويعتورها الانحلال في اخريات ايام الدولة الرومانية فاحياها العرب وعملوا على تحسينها واتقانها حتى تفوقوا بها واصبحت لا تماثل في بهاء الوانها واحكام نقشها

انبأنا الادريسي عن الآنية الخزفية التي كانت تصنع في يافا وبيروت وصور ودمشق وما انتهت اليهِ من جمال الصنعة بما كانوا يجمّلونها بهِ من المينا ونقل الينا غيرهُ من المؤَرخين عما حصلت عليهِ من الشهرة والصيت البعيد بحيث كانت فرنسا تستورد من المجمَّل منها بالميناء اقدارًا كبيرة وقد ورد ذكرها في العهدة التي ابرمت سنة ١٢٢٣ بين جان ابلين وجمهورية جنوى

وكانت المدائن السورية ملأى بالمعامل التي تصطنع تلك الآنية الخزفية المجمَّلة بالمينا من مثل السرج والصحاف والقوارير والاباريق والطاسات والطسوت وغير ذلك وقد ذكر المؤَرخ راي ان المسيو بيو وجد سنة ١٨٧٢ في دمشق بالقرب من مدفن اللاتين انقاض احد المعامل التي كانت تصنع هذه الآنية فاخذ منها عددًا وافرًا يشهد لدمشق بتفوقها القديم في هذه الصناعة

والظاهر ان هذه الصناعة ظلَّت مدة دولة المماليك من افخر الصناعات يتبارى الصناع في اتقانها الى ان اكتسح المغول سوريا تحت امرة تيمورلنك واسرفوا في الجور والعسف وصحبوا معهم الى سمرقند ابرع صناعها ليقيموا هنالك فكان ذلك آخر العهد بصناعة الخزف في سورية

وصناعة البناء العربي ليست من اوضاع الامة العربية ولا نشأة رجالها وشأنهم معها شأن الرومان في صنائعهم. ولما سكنوا المدائن وتربعوا دست الحضارة والتمدن دعتهم ضرورة العمران الى اشادة القصور واقامة المساجد فشرعوا لاول امرهم ينتهجون في البناء تارةً النهج الفارسي وطورًا النهج البزنطي الاَّ انهُ ما طال الامر بهم متى مزجوا الاسلوبين معًا فنجم عن

ذلك اسلوب جديد هو البناء العربي

وافخر المباني العربية واكثرها جمالاً المساجد والقصور وقد نظروا في تشييد القصور الى حالة البلاد من الحر فجعلوها اماكن نزهةٍ ذات قاعات كبيرة تطل عرصاتٍ فسيحة مغروسة بالاشجار ترطب هواءها احواض الماء على انهم لم يتقنوا صناعة عمل الصور والتماثيل لان الاسلام ينهى عن رسم الاشكال البشرية فاستعاضوا عن التماثيل والصور بما كانوا يطلون بهِ الجدران من الالوان الزاهية وبما يخطون عليها من الابيات والآيات

وكانت المدن السورية حافلة بالمعامل التي تحيك الانسجة الحريريَّة على انواعها وقد اشتهرت دمشق بديباجها المعروف عند الافرنج بدماسكو نسبةً اليها ونقل الينا الادريسي ان هذا المنسوج لجودة حوكهِ كانت تستبضعهُ البلاد البعيدة وانهُ ليفضل في الظرف على ما ينسج في بلاد الروم ولا يقلُّ جمالاً عما تحوكهُ معامل اصبهان وجنديسابور

ولم تكن المدائن الاخرى من سوريا كصور وطرابلس وانطاكية دون دمشق شهرةً في اصطناع الانسجة وبراعةً في حوكها وقد شهد الادريسي لصور بالنوع المعروف بالسندل وتفوقها بهِ على كل ما يصنع منهُ في سوريا · وامتازت طرابلس باصطناع الديباج والاطلس واتخذت منهما شمامسة الكنائس حللها · وفي سنة ١٢٨٣ زار هذه المدينة الرحالة بيركارت من مونت سيمون فوجد فيها زهاء اربعة آلاف نول لحوك الحرير والصوف

وظلَّ اهل انطاكية على احتراف الصناعة اليونانية السورية زمناً طويلاً حتى بعد الفتح الاسلامي واشتهروا في اصطناع اليشب والانسجة الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبيَّة والفضية وكان الافرنج يستبضعون منها اقداراً كبيرة وتتخذ منها حلل الكنائس يؤيد ذلك انهُ جاء في سجلات كنيسة القديس بولس في لوندرا سنة ١٢٩٥ وصفٌ لغفارة من الديباج الانطاكي الاسود الموشىَّ بالخيوط الذهبية وجاءت تلك السجلات ايضاً على وصف ثياب القسوس من ديباج انطاكية وطرسوس

ومن مصنوعات سوريا الشملة وهي ضرب من القطيفة اشتهرت في اصطناعهِ طرابلس وطرطوس وهو على اربعة انواع النوع الاول يحاك من صوف الجمال والثاني من شعر الماعز والثالث من صوف الغنم والرابع من مشاقة الحرير. وقد روى لنا مؤرخو الافرنج عن رغبة الاوربيين الشديدة في هذا المنسوج وتسابق تجارهم لاستبضاعهِ من سوريا يبيعونهُ لاهل بلادهم فيربحون الاموال الطائلة لاقبال الناس على ابتياعهِ وتنافسهم في اقتنائهِ حتى ان ملك فرنسا لويس التاسع طلب الى وزيرهِ جوانفيل يوم اتى لزيارة كنيسة السيدة في طرطوس ان يبتاع

لهُ من شملات تلك المدينة عددًا وافرًا ليهديها الى رهبان الاديرة لاسيما رهبان مار فرنسيس

وكان اهل سوريا من الوطنيين والافرنج معًا زمن الحرب الصليبية يتخذون الطنافس في منازلهم ودورهم· ذكر وليم الصوري انهم كانوا يأتون بها من بغداد وبلاد فارس واسيا الوسطى ويؤْخذ من هذه الرواية ومما ذهب اليهِ دفرمري Defremery ان اسم الطنافس مأْخوذ من اسم القرية التي تصطنعهُ حوالي بغداد وهذه الصناعة ليست من مستحدثات سوريا وانما نقلت الى شماليها فبرع الاهلون فيها وما برحت حتى عهدنا هذا في جهات طرطوس وبلاد الحصن

ولم يكن استخراج السكر معروفًا عند الاوروبيين بدليل ان الصليبيين يوم فتحوا طرابلس ووجدوا فيها قصب السكر استمرأُوا طعمهُ واعجبوا بما يستخرجهُ السوريون منهُ ونقلوا فسائلهُ الى صقلية وايطاليا ولقد كان السوريون يجيدون عمل السكر وامتازت صور في اصطناعهِ على سائر المدن السورية

وكان استعمال الصابون شائعًا بين السوريين والافرنج في القرن الثالث عشر ومصانعهُ كثيرة في انطاكية وطرطوس وعكاء ونابلس وطرابلس وللصليبيين اهتمام كبير بهذه الصناعة يضارع اهتمامهم بالمدابغ والمصابغ على ان احتراف الصباغة كان من خصائص اليهود في جميع المدن السورية

وكانت بلاد الجليل تحوك الحصر على ان افضل انواعهِ ما كان يصطنع في طبرية ويحوكونهُ هناك من نبات لهُ سوق طويلة ذات عقد تمتدّ على وجه الارض وينبت في بلاد ساسان وبالقرب من طبريا

ويؤْخذ من روايات المؤَرخين ان التعدين في سوريا كان مقتصرًا على الحديد وكانت جبال لبنان التي حوالي بيروت غنيَّة بمناجمهِ وكان الاهلون منذ القرن الثاني عشر يعدنونهُ ويصدرون منهُ على رواية ابن بطوطة اقدارًا كبيرة من ميناء بيروت· وذكر الادريسي ان حديد لبنان كان في القرن الثاني عشر كثير الاستعمال تستوردهُ مصانع دمشق الشهيرة لاصطناع الاسلحة

واخبر وليم الصوري ان صور وانطاكية وحبرون وطرابلس ودمشق وعكاء هنَّ اشهر مدائن سوريا في اصطناع الزجاج. وبلغت هذه الصناعة في العصور الوسطى شأْوًا بعيدًا في الظرف والاحكام ومن معامل هذه المدن خرجت تلك الكؤُوس والصحاف والقوارير والمصابيح المجملة بالميناء والتي تزدان بها متاحف اوربا اليوم وهي تشهد للسوريين بالتبريز في هذه الصناعة· على ان اقدم المصابيح الزجاجية ما صنع في القرن الحادي عشر وكان زخرفها ثمينًا وغاية في الظرف وظاهرها مقسمًا بخطوط افقية يتخللها حروف موسومة بالالوان الوردية وموشاة بالميناء ذات الالوان الجميلة

وكانوا احياناً يرسمون الحروف على صحن الميناء الزرقاء ويجعلونها كبيرة بيضاء وكثيراً ما كانوا يزخرفون الآنية الزجاجية برسوم بعض الحيوانات كالنسر والاسد وشعار امراء تلك الايام ومن اجمل الكؤوس الزجاجية التي وجدت حديثاً كاس للامير بدر الدين الظاهري الذي كان امير الجيوش السورية في النصف الاخير من القرن الثالث عشر ايام سلطنة الملك بيبرس

وكانت اوربا خلال العصور الوسطى تستبضع الآنية الزجاجية من جميع معامل المدن السورية وكانت تعرف عندها باسم الزجاج الدمشقي ويتخذها الاغنياء من مظاهر الابهة . ومما رواه ثقات المؤرخين ان عملة الزجاج من اهل البندقية ظلوا امداً طويلاً يستجلبون الزجاج الخام من سوريا ليسبكوا منهُ الآنية في معاملهم وانهم كانوا يأتون بالعملة السوريين بغية ان يأخذ العملة الايطاليون عنهم طرق الاجادة فيحاكوهم في صناعتهم

على ان افخر المصنوعات السورية وادقها صنعةً وابعدها شهرة ما اصطنع من المعادن كالسيوف الدمشقية التي عرفها الاوربيون في الحرب الصليبية واعجبوا بها جداً وقس عليها سائر الآنية المصنوعة من النحاس والشبهان المنقوش عليها شعار الامراء والمحفورة بكتابةٍ تعلن اسم صانعها والذي صنعت لهُ وهي المعروفة بالصناعة الظاهرية

وكانوا يرصعون المصنوعات المعدنية من مثل الطسوت والاباريق والطاسات والشماعدين والمصابيح والطباق وغيرها من الادوات بالذهب او الفضة او بمعدن آخر ثمين وذلك بان يحفروا في طرف الاناء ثلماً عميقاً يحشونهُ بخيوط من الذهب او الفضة وعندهم ايضاً ضرب آخر من الترصيع عادي وهو ان يحمى المعدن بالنار شديداً ثم يحفر فيهِ بسكين خطوطاً صغيرة ويرسم الشكل بآلة حادة تعرف بقلم الحفر ثم يمدّ خيط ذهبي او فضي وينزل في الثلم باعتناء بآلةٍ نحاسية

وفي متاحف اوربا اليوم عدد وافر من الآنية التي اصطنعت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وقد حفر عليها اسماء الامراء من العرب والافرنج وانفس تلك الآنية ما اصطنع في القرن الثالث عشر في دولة المماليك زمن الملكين العظيمين نور الدين وصلاح الدين

وقد اشتهرت بلاد الموصل في اصطناعها قبل اشتهار سوريا ثم نزح نفر من اهل هذه الحرفة عن الموصل واقاموا في سوريا ومصر على احترافها بدليل ان عدداً وافراً من الآنية النحاسية الموجودة في المتاحف الاوروبية منقوش عليها اسم صانعها مع ذكر بلدهِ من ذلك طست كبير في متحف باريز منقوش عليهِ ما يأتي : نقش علي بن حسين الموصلي بالقاهرة سنة اربع وثمانين وستمائة : وابريق اخر للملك الناصر نقش عليهِ هكذا : نقش حسن بن محمد الموصلي في دمشق سنة ٦٥٩ ﻫ

ولا خلاف في ان الموصل بلغت شأْواً بعيداً من الشهرة في اصطناع النحاس العربي المرصع وفي حفر الرسوم البشرية او الحيوانية بين ان صناع مصر والشام ظلوا الزمن الطويل لا يتجاوزون حدود الدين ولا يحفرون الرسوم البشرية مقتصرين في تجميل الآنية على النقوش البسيطة وحفر بعض الكلمات. وفي اواسط القرن الثالث عشر طفقوا يحفرون على ظاهر مصنوعاتهم رسوم بعض الحيوانات المتخذة شعاراً من مثل الاسد والنسر الّا ان مصنوعات السوريين للافرنج من الصليبيين حفر عليها الرسوم البشرية وشيء من الرموز المختصة بالدين المسيحي وقد قال المؤرخ راي ان اجمل آناء رآهُ من هذا النوع شمعدان بديع الصنعة عمل لاحدى الكنائس وقد حفر عند قاعدتهِ رسم عماد السيد المسيح . والمرجح ان الحافرين لمثل هذه الصور والرموز من النصارى السوريين

اما الصياغة فلم يوفها رجال العلم حقها من البحث ولم يبقِ لهم الدهر من بقاياها ما يفسح المجال للمتكلمين عنها ولكن لم يعدم العلماء من سجلات كنيسة القديس بطرس في انطاكية ومن الآثار القليلة التي انتهت اليهم ما يصل بهم الى معرفة شيء مما بلغتهُ في سوريا زمن الحرب الصليبية

ولقد كان في القدس شارع خاص للصياغة ولم يحق احتراف هذه المهنة الّا لنفرٍ من الناس يتعاطونها باجازةٍ من الملك وقد اشتهر هؤلاء الصاغة بالنقش على الحجر الصلد واستخدموا لذلك الماس على ما روى الادريسي وهذا الضرب من النقش وتزيين فصوص الخواتم برسوم الحيوانات المتخذة شعاراً هو من اوضاع السوريين على ما يذهب اليهِ بعض مؤرخي الافرنج

وجملة القول ان السوريين برعوا في الصياغة شأنهم في سائر الصنائع حتى كان امراء الافرنج يقصدونهم لصوغ حلاهم. وقد اورد المؤرخ راي عن سجلات ذخائر كنيسة انطاكية جدولاً يحتوي على اسماء ما صاغهُ لها السوريون من الآنية الفاخرة مما يرجع تاريخهُ الى سنة ١٢٠٩ ومن تلك المصوغات صليب كبير من الذهب المرصع بالجواهر والحجارة الكريمة والانجيلان مصفحان بالذهب المرصع وكتابا الرسائل مصفحان بالفضة وغير ذلك شيء كثير بالغ منتهى الاحكام في الصنعة

ولا يتيح لنا المقام تعداد كل ما اصطنع السوريون وما وصلت اليهِ مصنوعاتهم من الظرف والاحكام فنكتفي بالقول ان سوريا كانت استاذة اوروبا في الصناعات كما كانت استاذتها في العلم والزراعة والتجارة ولكن

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبار قبيحُ

ص . ي

المتنبي والبهاء زهير (١)

اديبان مشهوران قد حكمت لهما قصائدهما الغراء ان يكرَّما بشرف الانتساب الى الشعر وخليقان ان يحملا اعلامهُ ويتصدَّرا في مجالسهِ · غير ان الاول وهو من اهل القرن الرابع للهجرة يشبه كريمًا يجود بعقود الجمان وقلائد المرجان ولكن بوجه مقطب عبوس · فكأنما اعتمد ان لا ينعم بجواهر افكارهِ الاَّ على من يحتمل تعبُّس عبارتهِ اي على من يفهم لسانهُ ويزيح سجوف الغموض عن تلك الوجوه الحسان · ولذلك اقبل العلماء على شرحهِ ليكشفوا للناس ما فيهِ من كنوز المعاني وكفى بهِ برهانًا على ان في شعرهِ غموضًا ولا سيما على من هم من اطفال الادب او أحداثهِ · فلا اكتمك اني كنت واياهُ اول ما أخذت اقرأهُ كالمختلفين لغةً على ان كلاًّ منهما تعلم من لغة الآخر فكنت كمن يجالس رجلاً ليستفيد منهُ ولكن الرجل قلَّ ما يقبل عليهِ بوجههِ ولا يكلمهُ غالبًا الاَّ موجزًا فضقت صدرًا حتى اضطررت ان استخدم ترجمانًا بيني وبينهُ لكي افهم المقصود من كثير من ابياتهِ وذلك الترجمان هو شرح الواحدي فصاحب هذا الشرح كان بارعًا في معرفة الغريب وخبيرًا بمذاهب الشعراء · ولعلك تقول ما الذي دعا ابا الطيب الى جعل شعرهِ عاليًا على ضعفاء الادباء والمتأدبين وما الذي حملهُ على الاغراب فاقول ان المتنبي اظن لكثرة ما حفظ من الفاظ اللغة وخزن في ذاكرتهِ من القصائد التي هي منازل لغريب اللغة لم يعد يشعر انها غريبة على الناس اوانهُ كان لا يلتفت الى حال من يقرأ ويسمع ولا يراعي اختلاف الطبقات في الفهم · وربما كانت نفسهُ تميل الى استعمال الغريب والعويص وتعدهُ من مفاخر الشعر ولكن رجلاً لهُ مثل هذه المعاني يُجَل عن الانحطاط الى حالة من كل رأس مالهِ استعمال كلمات ندر دورانها على الالسنة وقلَّ تداولها بين الكتاب ولم يبقَ لعين القارىء ولا لاذن السامع انس بها وهي كما لا يخفى على احد لا تكلف من يستخدمها الاَّ ان يفتح كتابًا من كتب اللغة فيخرجها من سجنها وهو امر سهل على كل من ارادهُ

هذا ولنا ان نعلل ذلك بان كثيرًا مما هو غريب على ضعفاء الادباء من اهل زماننا كان متداولاً بين ادباء زمانهِ · ولا شك ان لاختلاف الزمان تأثيرًا في الكتابة لفظًا ومعنى

---

(١) للكاتبة الاديبة المرحومة انيسه كريمة الاستاذ الفاضل سعيد الخوري الشرتوني وقرينة الشاب المهذب الخواجه ميخائيل الشرتوني المتوفاة في بيروت في ١٨ آب سنة ١٩٠٦ عن ٣٢ عامًا

كما ان لاختلاف الطباع والمقاصد ضربًا من التأثير في الكتابة فكثير ممن تقدموا المتنبي تجد في كلامهم اغرابًا اكثر مما تجد في شعر المتنبي ما خلا عنترة ومن نحا نحوهُ

والمتنبي يظهر بهاءُ شعرهِ لاهل الأَدب وارباب القريض فعيونهم هي التي ترى بدائعهُ ولطائفهُ . واما طبقة الضعفاء فانما يرون بعضهُ بعيون ضعيفة النظر . ولكن بعد ان يفسر الترجمان اي الشارح ما لم يفهم القارئُ من الفاظهِ او كناياتهِ يكون (القارئُ) مثل صغير وعدهُ ابوهُ شيئًا نفيسًا وشرط عليهِ شرطًا فلما قام بالشرط جاءهُ ابوهُ بالموعود فابتهج نفسًا. واما انا ففرارًا من عناء التأَمل والتفتيش وتخلصًا من جميل الترجمان اقتصرت من قصائدهِ على ما هو واضح اللفظ والمعنى من نحو قولهِ

اني لأَعلم واللبيب خبيرُ ان الحياة وان حرصت غرورُ

ومن نحو الحزن يقلق والتجمل يردعُ والدمع بينهما عصيٌّ طيعُ

على ان هذا الشاعر العظيم متى اراد ان يكلم الناس بلا ترجمان رأيت في كلامهِ من الحلاوة واللطف ما يستعذب على اطيب شراب وذلك كقولهِ في العتاب

أَأَنطق فيك هجوًا بعد علمي بأَنك خير من تحت السماء
واكرهُ من ذباب السيف طعمًا وامضى في الامور من القضاء
وما اربتْ على العشرين سني فكيف مللتُ من طول البقاء
وهبني قلت هذا الصبحُ ليلٌ أَيعمى العالمون عن الضياء

وقد لاحظت انهُ متى همهُ ان يفصح عما في نفسهِ وحرص على ان يفهم معناهُ ويقبل احتجاجهُ ويرسخ برهانهُ عدل عن الاغراب وسلك اقرب طرق الافهام كما رأَيت في الابيات المذكورة وكما ترى في قولهِ

كم قد قُتلتُ وكم قد متُّ عندكمُ ثم انتفضت فزال القبرُ والكفنُ

وفي قولهِ ان كان يجمعنا حبٌّ لدولتهِ فليت انَّا بقدر الحبِّ نقتسمُ

واما الثاني وهو البهاءُ زهير الذي وُلد في اواخر القرن السادس للهجرة ومات بعد منتصف القرن السابع بثماني سنين فديوانهُ الروضة الناضرة الزاهرة او الوجوه الجميلة الضاحكة فقصائدهُ كتفاح دمشق او عنب داريًا فكأَنما يلقاك بثياب فاخرة نظيفة وهيئة مشرقة ظريفة فتكاد تأْكلهُ بضميرك وتشربهُ

ثم ان شعر المتنبي مثل رجل عميق الغور لا يشرح لك ما في صدرهِ ولا يطالعك بما في طويتهِ الَّا بعد ان يثق بودّك

واما البهاء زهير فيكشف لك دخيلة امرهِ وسريرة نفسهِ لاوَّل مقابلة ولا يخشى اعراضاً لا زهداً ولا يخاف زوال كرامة

وقصارى القول ان الذوق يطلب ان الكلام يصل معناهُ الى العقول على اثر وصولهِ الى الآذان وان من يأتي بما لا يدرك مقصدهُ منهُ الاَّ من باب حلّ اللغز كان كالمزُور الذي يشيح بوجههِ عن زائريهِ فينفرون منهُ ولا يحبون ان يطأوا لهُ عتبةً بعدها

واعلم اني كتبت هذا الفصل بمنزلة عرض حال ارفعهُ الى جماعة المنشئين لابين بهِ حالة من هو مثلي عند قراءة ما فيهِ تعقيد او اغراب حتى تدركهم الرأفة بضعفة الادباء وجماعة العوامّ. افلا ترى ان اهل العلم الواسع لا يشعرون بما تشعر بهِ ضعيفة في العلم من نظائري عند مطالعة ما وضع تحت استار من الاستعارات الغريبة والكنايات البعيدة او ما جاء كالمتنكر بزيّ غير مألوف وهو ما وقع اضطراب في تركيب العبارة عنهُ او أُورد بكلم لم يستعملهُ الاَّ مثل الحريريْ في مقاماتهِ

واذا اعتبرت ما ذكرتهُ كما املاهُ عليّ شعوري فاحبّ ان اذكر لك من شعر البهاء زهير ما تعلق بهِ الروح ويلتذّ بهِ السمع وكلهُ من نمط ما يأتي حلاوةً وطلاوةً ووضوحاً قال

من مثل قلبيَ او من مثل ساكنهِ   الله يحفظ قلبي والذي فيهِ
يا احسنَ الناس يا من لا ابوح بهِ   يا من تجنَّى وما احلى تجنّيهِ
قد اتعس الله عيناً صرتَ توحشها   واسعد الله قلباً صرتَ تأويهِ
فمن اذاعَ حديثاً كنت اكتمهُ   حتى وجدتُ نسيم الروض يرويهِ
اذا سألت فسل من فيهِ مكرمة   لا تطلب الماء الاَّ من مجاريهِ

وقال
رقَّ في الجوّ النسيمُ   فتفضَّلْ يا نديمُ
ما ترى كيف امّحت   من حلة الليل رقومُ
وكأن الفجر نهرٌ   غرقت فيهِ النجومُ

وقال
تقدَّم ذكر الجود قبلك في الورى   واصبح من ذكراك مسكاً ختامهُ
امنتُ بلقياك الزمانَ وصرفهُ   فغيريَ من يخشى عليهِ اهتضامهُ

وقال في مدح صلاح الدين الايوبي

عرف الحبيبُ مقامهُ فتدلَّلا   وقنعتُ منهُ بموعدٍ فتعلَّلا

الى ان قال

اهوى التذلل في الغرام وانما   يأبى صلاح الدين ان اتذلَّلا

مهَّدتُ بالغزل الرقيق لمدحهِ   واردت قبل الفرض ان اتنفَّلا
ملك شمخت على الملوك بقربهِ   ولبست ثوبَ العزّ فيهِ مسبلا

الى ان قال

قهر الزمانَ وقد عراني صرفهُ   حتى مشى في خدمتي مترجلا
ثم التفتُّ وجدت حولي انعماً   ما كان اسرعها اليَّ واعجلا

فيا ليت شعري هل يدخل على قلب القارىءِ من الانس والابتهاج عند قراءة قول المتنبي

وفاؤُكما كالربع اشجاهُ طاسمهُ   بأن تسعدا والدمع اشفاهُ ساجمهُ

مثل ما يدخل عليهِ منهما عند قراءة ما رويت من شعر البهاء فلا ريب انك تقول كلاَّ فهو كالبواب الذي يتلقاك بوجه عابس وكلام يابس

والخلاصة ان من صرف همتهُ الى استعمال المأنوس وتعمد ان يختار الاساليب المستلطفة كما فعل البهاء زهير كان كالمورد العذب فتقبل على شعرهِ الخاصة والعامة . ومن استطاع ان يجتذب اليهِ الناس فخليق بهِ ان لا يبعدهم عنهُ ومن اراد ان يبث افكارهُ وينشر مقاصدهُ فلا يناسبهُ الاَّ الكلام السهل لانهُ جامع بين الصحة والسهولة فهو مفهوم عند العوام ومقبول عند الخواص وان عدل الى التعقيد صرف الناس عنهُ فأين من قول المتنبي

وما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

قولهُ هو نفسهُ

أُحاد ام سداس في أُحاد   لويلتنا المنوطة بالتنادي

فالاول واضح كالصبح والثاني مغلق كأنهُ الليل البهيم فقد تكلف الشارح ان يكتب عدة سطور ليرفع الستار عن هذا المعنى ولو كان كلامهُ في لغة اعجميَّة لكانت ترجمتهُ ايسر من شرح كلام وصل من التعقيد الى ان اعتاص ادراك معناهُ على العلماء

واين من قول المتنبي وضوحاً وطلاوةً

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فاسهل ما يمرُّ بهِ الوحولُ

قولهُ هو نفسهُ

فتىً الفُ جزءٍ رأيهُ في زمانهِ   اقلُّ جزيءٍ بعضهُ الرأي اجمعُ

ولكن سبحان من لا يقال في اعمالهِ لو او لولا فان الفرزدق على علو طبقتهِ صار قولهُ

وما مثلهُ في الناس الاَّ مملكاً   ابو أُمهِ حيٌّ أَبوهُ يقاربه

مثلاً في مخالفة الفصاحة بما فيهِ من التعقيد

الملاحة عند القدماء

نحن في زمنٍ امتلأَت فيهِ البحار من السفن تشق العباب لا ترهب الامواج تلطمها ولا تخشى الرياح الهوج تعصف بها . فيقف واحدنا على شاطىء البحر حائرًا مدهوشاً مما يرى . فلاعاً تسير فوق الماء مدججة بالسلاح الضخم اهبة للقتال وارهاباً للعدو . واهراء واسعة الجوف تذدحم فيها ما انتجت الارض او صناعة الانسان تجري بها من سوق الى سوق نقف ونرى ثم نقول في انفسنا كيف نشأَت هاتيك البوارج الحربية وهذه السفن التجارية بل كيف فتق للانسان عقلهُ تسخير البحر العجاج واتخاذهُ مسرحاً لسفائنهِ وسبيلاً يجري فيهِ الى غرضهِ . تلك مباحث لا يُشفى الغليل منها الاَّ بنبذةٍ نلخصها عن علم الملاحة فنقول

الملاحة في العربيَّة صنعة الملاَّح وهي تؤَدي معنى الكلمة الافرنجية Navigation ويرادفها بالعربية ايضاً كلمة الابحار بمعنى سفر البحر وفي الاصطلاح علم يراد بهِ تسيير السفن في البحار

ولقد نشأَ هذا العلم ضعيفاً وتدرّج في الارتقاء حتى ادرك لهذا العهد موضعهُ السامي من الاتقان ولم يبنَ على الحدس والتخمين بل على الحقائق التي ادّى اليها الامتحان والتجارب المتكررة مرة بعد اخرى . ومن غريب امرهِ ان الذين جرّبوا وحُفظت نتائج اعمالهم المصيبة وصارت قواعد الفن لم يكن معظمهم من الفلاسفة او العلماء ولا من القارئين الكاتبين بل من الاميين الذين لما اهتدوا الى ركوب متن الماء صاروا يعملون بما تفتق لهم عقولهم من الاساليب التي يظنونها تبلغ بهم الغرض فكانوا اذا وجدوا من موضوعاتهم سديداً عملوا بهِ واتبعوهُ وخلّفوهُ لمن يجيءُ بعدهم من ارباب فنهم وان وجدوا ما استعملوهُ قاصرًا عن غرضهم نبذوهُ واتخذوا عنهُ بديلاً فمجموع هذه التجارب هو اصل علم الملاحة قبل ان اخذتهُ العقول وشحذتهُ العلوم . وبهِ يصح القول ان قواعدهُ بنات الفلسفة والجهل المطبق وهذا من الغرابة بمكان

اما مشاركة الفلاسفة فلم تكن الاَّ لاحكام الفن وجعل قواعدهِ قائمةً على اسس الحقائق العلمية واهم القائمين بهِ شأناً اولئك الذين كانوا على علم باحوال البحر ولهم مشاركة في علم الفلك والآلات

ويبتدئ تاريخ الملاحة منذ اقدم العصور واكثرها ايغالاً في عصر الظلمات ايام كان الناس في مجتمعاتهم الاولى وليس لاخبارهم ديوان يرجع اليهِ ولكننا نتابع سائر الباحثين في احوال الفطريين بان نضرب مثلهم في اودية الخيال مستعينين بالتمثيل . فنرى القوم الذين يعترضهم في رحلاتهم او يجاورهم في منازلهم نهر لا يستطيعون اجتيازهُ سباحةً يضطرون الى التحيل في ركوبهِ بوضع اخشاب فيهِ تطفو عليهِ فيركبونها ارماثاً واذا كانت المسافة بين العدوتين طويلة تذرعوا الى نيل غرضهم بقطع الاشجار وحفر سوقها الضخمة بالادوات التي يستعملونها او بالحرق كما يشاهد حتى الآن بين الفطريين في افريقيا . ولعلهم قبل اهتدائهم الى هذا كانوا قد رأوا شجرةً نخرة فاستعملوها ووفت لهم بمطلوبهم . الاَّ ان صناعتهم الفطرية لم تكن لتعدَّ لهم من مثل هذا الطرز قوارب تسع اكثر من رجل او رجلين . ثم ان النازلين سواحل البحر يضطرون الى ركوبهِ ومنهم على الاكثر نشأت المعارف الاولى التي اعتمدها الملاَّحون لان البحر على سعتهِ يسهل السبل ومتى اعتادهُ المسافرون يرونهُ مقرّباً للمسافات معيناً على الصلة التجارية . فلا غروَ ان يغري سكان سواحله باقتحامهِ وقد عوّضهم عما تحملوهُ من المشاق فيهِ كثيراً من الخير بما فتح لهم من ابواب التجارة وما اعان على اتصال الناس وتبادلهم المنافع والفوائد . حتى ان القارئ يستطيع ان يعرف مقام كل عصرٍ من العصور الماضية من النظر في حال ملاحتهِ

وليس في التاريخ نبأ صريح عن الزمن الذي بدأت فيهِ الملاحة ولا عن الامة الاولى التي تسنَّى لها هذا الفخر غير ان بعض المؤرخين يزعمون ان فينيقيَّة احرزت قصب السبق في هذا المضمار بحيث ان السفينة الاولى التي مخرت العباب كانت منها الاَّ انا نخشى ان تكون هذه الرواية يونانية المصدر وقد اوردها رواتها اثر تأثرهم لعظمة فينيقية في البحر

ولا نعلم كيف بدأ الفينيقيون ببناء سفنهم بمعنى انا لسنا على بينةٍ من حقيقة حالهم ايام عُرفوا باسمهم و بقوتهم البحرية . ولكنهم على رأي جلة الباحثين لم يكونوا فطريين حين نزلوا الثغور الشامية وان صح القول بمجيئهم اليها من سواحل البحر الهندي فالمرجح انهم كانوا على علم ضئيل بالملاحة وكيف كان الحال فان فينيقيَّة كانت مظهراً لبراعتهم في هذا الفن ومضماراً لتسابق هممهم في ترقيتهِ والانتفاع بهِ وللظهور الاول في مشهد العالم المتمدن كقوةٍ بحرية ذات عمل مذكور

وقد اتصل بنا من ابحاث العلماء ان اقتراب الثغور الفينيقيَّة بعضها من بعض بحراً ووعورة بعض الطرق برًّا اضطرتاهم الى ركوب البحر

على انهم ما عتموا ان اشتد ساعدهم وصاروا يسافرون الى قبرص ومصر وكيليكية ويبادلون اهلها التجارة ولم يمضِ عليهم الزمن الطويل حتى استطرقوا الى كل سواحل البحر المتوسط بل تجاوزوهُ الى البحر الاسود وما وراء اعمدة هرقل وبلغوا على قولٍ الجزر البريطانية وتلك السفن المكشوفة التي قاوت الامواج فغلبتها اتصل بنا رسمها على النقود الفينيقية القديمة وهي في شكلها اشبه شيءٍ بالسمك الكبير

وقد نقل العلامة رولنسون في كتابهِ الحديث عن تاريخ فينيقية ان هذه السفن كانت تبنى من خشب الشربين او الارز فيشدون الواحها الى بعضها شدًّا غير محكم ويطلونها من الداخل بالقار واقدم ما اتصل الينا رسمهُ منها يدل على ان تسييرها كان اما تجذيفًا او بالشراع . ويغلب في عدد المجذفين في السفن القديمة ان يكون عشرة او اثني عشر ولكنهم ازدادوا بكرور الايام وتحسين صناعة السفن حتى صاروا من الثلاثين الى الخمسين رجلاً وكانوا يجلسون في اول امرهم صفين متقابلين كما يجلس بحارة القوارب لهذا العهد ويحركون المجاذيف وهي مشدودة الى جانب السفينة ويجعلون وجوههم ازاء مؤخرها فان هبت ريح موافقة رفعوا شراعًا على سارية مرتفعة من وسط السفينة مشدودة بالحبال وكان الشراع يدار على حسب رغبة الربان

ومما ينسب الى الفينيقيين اختراعهم ضربًا من السفن يكثر فيهِ عدد المجذفين ويقال لهُ بيرام Birames اي مزدوج التجذيف وقد رسم شكل هذه السفن على الآثار الاشورية منذ عصر سنحاريب في اوائل القرن الثامن قبل المسيح والمرجح ان استعمالها كان شائعًا قبل ذلك العهد بازمنة طوال . والظاهر من شكلها المرسوم انها كانت في اول امرها قليلة الارتفاع ثم زيد عليها بناء ظهرٍ لها فاصبحت ذات جوف يجلس فيهِ المجذفون على مرتفعين احدهما اعلى من الآخر ويعملون في التجذيف من ثقوب تبرز المجاذيف منها الى البحر صفًّا فصفًّا

ومن العجيب ان تلك السفن الضعيفة الحول كانت تقاوي الانواء والعواصف وتغالب الامواج وتصل الى ميناء قصدها سالمة لا سيما وان الملاحة يومئذٍ كانت بقية النشأة الاولى ايام كان البحارة لا يبعدون عن البر كثيرًا . وهذا النسق يعتبر في الابحار محفوفًا بالاخطار لان البحّار البارع لا يخشى من الامواج اذا هي اقبلت كالجبال ولا من الرياح الهوج اذا هي عصفت كهزيم الرعد اذا كان مركبهُ في ظهر البحر الواسع يتصرف بادارتهِ وتحويلهِ من نقطة الى اخرى بملء حريتهِ ولكنهُ يخشى الاقتراب من البر والتضييق على مركبهِ في مجال الحراك خوفًا من نشوبهِ على الصخر او الرمل . ألا ترى سفن الفرس كيف تحطمت منها المئات

عند جبل اثوس ومغنيسيا واوبيا لانها كانت تقترب من البر ومثلها لقيت بوارج فينيقية وهي قد خرجت من مرساها مشحونة بالكماة ومدججة بالسلاح فلم يبقَ منها الاَّ القليل

ولقد مرَّ على الاقلام حين من الدهر كانت فيهِ تسخر لتدوين اساطير الاولين فتحار فيها الباب قرائها اذ يرونها من الترهات التي لا تعار جانب الثقة وهي مع ذلك واردة في معرض الامر الواقعي من ذلك انهم كانوا يحكون عن غزوة الارغنوط ويبالغ رواتهم في تدوينها وكلها يراها نقدة العصر من الاساطير الموضوعة الاَّ ان من الحكايات ما كان صادراً عن حقيقة موهت عليها الخرافة ونسجتها على منوالها فكادت تذهب الحقيقة الضئيلة ضياعاً بين هاتيك الترهات المحوكة

فالابحاث الحديثة كشفت القناع عن حقيقة غزوة الارغنوط بانها اشارة لما كان يلاقيهِ بحارة اليونان لاول عهدهم من الجهد والعناء في التوصل الى شواطىء البحر الاسود ولكن ما عتم ان انقضى زمن الخرافة عندهم وجاء الدور التاريخي لملاحتهم ثم برزت سفنهم تناظر اساتذتهم الفينيقيين في اعمالهم واسفارهم حتى غلبوهم في ما جاورهم بحيث اضطر الفينيقيون ان يتركوا لهم البحار التي تجاورهم وان يضربوا في عرض البحر توصلاً لمواضع اخرى ثم عزَّت بعد ذلك ملاحة المصريين على قلة ثم ملاحة قرطاجنة والاتروسكان

اما المصريون فان النيل كان احسن مدرسة لتعليمهم فن الملاحة فيهِ ولكنهم لم يقتصروا على تسيير سفنهم في مائهِ بل سيروا بعضها في مياه البحر المتوسط وفي عباب البحر الاحمر حتى خليج العرب

وبلغ من همتهم ان احد فراعنتهم فتح ترعة من النيل الى السويس كانت السفن تسير فيها لاستبضاع النحاس من القطر العربي

ونالت البحارة المصرية مقاماً لكنها لم تدانِ الفينيقية ولا اليونانية على ان الدول المصرية كانت على اتم وفاق مع الفينيقيين تسمح لهم بالقيام في بلادها للتجارة وبالتردد عليها لحمل نتاج ارضها الى البلاد البعيدة التي تنتابها فادى ذلك الاتفاق الى مواثقة اخرى ذهب بها الاسطولان الفينيقي والمصري في اسفار شاسعة اهمها الطواف بحراً حول افريقيا والفضل في هذا الطواف يعود على الملاحة الفينيقية اكثر منهُ على المصرية لان الفرعون نيخو استخدم البحارة من الفينيقيين فسارت السفن من احدى مرافىء البحر الاحمر محاذية للبر عند باب المندب ثم حذاء السواحل الشرقية من افريقيا مخترقة عباب البحر الهندي متجهة جنوباً حتى اجتازت بلاد الصومال فزنجبار فموزامبيك فبلاد الزولو ومنها طرقت رأس الرجاء واذ بلغت

اقصى الطرف الجنوبي عادت على محاذاة البر الغربي مارة بما هنالك من الاقطار حتى استدارت افريقيا وبلغت بوغاز طارق ومنهُ دخلت البحر المتوسط وجعلت تدنو يوماً فيوماً من المرافئ المصرية فبلغتها بالامن والسلام وكانت مدة غيابها في السفر نحواً من ثلاث سنوات قضاها البحارة راكبين متن البحر وكلما اعوزهم الزاد كانوا ينزلون البر ويعالجون فيهِ قطعة من الارض بالحرث والزرع فيقيمون ثمت حتى ينمو زرعهم وينضج فيحصدونهُ ويجمعونهُ في اهراء سفنهم زاداً لهم

وكأني بهم لم يكونوا يقصدون اتمام طوافهم سراعاً وانما تمهلوا فيهِ ليأتوا على اخرهِ آمنين فكانوا يسيرون حذاء الساحل ما طابت لهم الريح وصفا الجو وسكن البحر فاذا لم يجدوا من الاحداث الجوية عوناً او لقوها واقفةً لهم موقف العدو لجأوا الى البر حتى تكسر حدتها ويؤمن جانبها على انهم لم يكونوا يخشون من الاهلين ضرًّا ولو كانوا من اشد البرابرة توحشاً لان مجيئهم الى جوارهم لم يكن الاَّ للاكتشاف ومعهم اشياء من السلع التجارية يقايضون عليها

ولا خفاء ان هذه الرواية نقلها المؤرخ هيرودوتس وقال فيها لكن التجار يقولون انهم بعد سفرهم حول افريقيا بزمنٍ قصير صارت الشمس تطلع عليهم من يسارهم ثم صرَّح بانهُ نقل الخبر عن قائليهِ وهو لا يصدّق مياسرة الشمس لهم

ومن العجب ان بعض النقدة حسبوا خبر الطواف مكذوباً ولم ينتبهوا الى ما انتبه اليهِ المؤرخون المدققون وفي صدرهم كروت ورولنسون من ان خبر طلوع الشمس عن يسارهم لهو الدليل الصادع الذي يؤيد خبرهم لان اليونان في عصر نيخو ومثلهم المصريون والفينيقيون لم يكونوا يعرفون عن الشمس حقائق حالها من الشروق والاظلال والغروب واذا كان من نوابغ القوم من يعرف حقيقة من هذه الحقائق فان عامة الناس لم يكونوا يعرفون شيئاً غير ما يشاهدونهُ وهذا يدل على ان البحارة لم يضعوا الخبر من عند انفسهم بل حكوا ما وقع لهم

وكما ان الفينيقيين كانوا في طليعة بحارة العالم ولهم السبق على معاصريهم ومنهم اخذ اليونان فن الملاحة وبهم استعان المصريون في بناء سفنهم وتسييرها وتدبيرها هكذا لما جاء الدور الروماني اخذت تلك الدولة نصيبها من الملاحة عن الاتروسكان بعد اذ اضطرت الى تعزيز تجارتها لمناوأة قرطاجنة بنت فينيقية ذات القوة الضخمة في البر والبحر ولم تكن مناوأة رومية لقرطاجنة الاَّ مغالبةً لها على امتلاك ناصية التجارة البحرية التي ادرَّت على نظيرتها اخلاف الثروة كما ادرتها من قبل على امها فينيقية

ولم تكن معدات الملاحة حتى يومئذٍ قد ارتقت عن الحالة الاولى الاَّ قليلاً فصارت السفن

من ذوات الثلاث طبقات واصبحت البوارج المعدة منها للحرب تنقل الجند وسلاحهم واذا وقع التلاحم بقي المجذفون على عملهم واشتغل الكماة بالقتال والربان يدير السفينة بمعرفتهِ

ومن السفن التي كانت تنتاب البحار يومئذٍ سفن القرصان اي لصوص البحر وكانت تجهز بمثل جهاز السفن التجارية حتى لا تفرق عنها وقد يغرُّ بها كثيرون من ربانية السفن الاخرى ولذلك صارت السفن كلما دنت من بعضها تتساءل عن شؤُونها فان كانت تجارية سار كل منها في طريقهِ وان كانت قرصانية حمل بعضها على بعض واشتبك القتال والغنيمة للظافر

ومرَّت العصور فكانت اوربا في العصور المسيحيَّة الاولى ممالك صغيرة بعضها في جاهليتها والبعض في زمن الانقلاب فلما وهنت العزة الرومانية لم يكن من ممالك الاسلام الاولى ميل لركوب البحر الاَّ قليلاً في المياه المجاورة لممالكهم واما سكان شمالي اوربا كالنورمان والدنمركيين فكانوا يركبون سفنهم ويشنون بها الغارات على السواحل القريبة فيسلبون وينهبون . ولذلك لم يكن لاختبار اولئك البحَّارة يد في اصلاح فن الملاحة الاَّ ان بعض الايطاليين من اهل جنوى والبندقية كان لهم منذ عهدٍ بعيد قدم راسخة في التجارة البحرية وساعد شديد في الحرب بحيث كانوا لا يفترون عن اتقان بناء سفنهم واعدادها لاتمام مقاصدهم فتسنى لهم بذلك ادخال اصلاحات جمة في تحكيم الشراع وضبطهِ وكأَنهم بما توفقوا لايجادهِ من الاصلاح قد مهَّدوا السبيل لنبوغ جماعةٍ منهم يدهشون العالم باعمالهم البحرية وبنتاج ملاحتهم الغريب

ومما يذكر ان البحَّارة الاقدمين واهمهم الفينيقيون لم يكونوا يعرفون من فن الملاحة الاَّ نزرًا قليلاً يتمكنون بهِ من السفر من ثغرٍ الى آخر على محاذاة البر على انهم ما عتموا ان صاروا يبعدون عن البر ويستسلمون لحكم الامواج فيغالبونها في مضمارها ولكن على مسافات غير بعيدة المدى كما هي الحال في بعد جزائر المتوسط عن البر وعن بعضها . فهذا الابتعاد عن البر لا يتم التحكم فيهِ الاَّ بضبط تلك الابعاد ولذلك ظن بعض الباحثين ان الفينيقيين كانوا على علم باصول الحساب وكأَنهم اعتمدوا رواية سترابو القائل ان الصيدونيين خصوصاً كانوا يعرفون علمي الفلك وسلك الابحر لانهما ضروريان لمعرفة سير السفن وعلى الخصوص ليلاً ويرى غيرهُ ان البحارة كانوا يومئذٍ يسرون ليلاً مستهدين بنجم القطب وانهم كانوا قد رسموا لانفسهم ضربًا من الخرائط وفيها المواضع وابعادها على معدَّل وضعوهُ لانفسهم والاَّ حفت اسفارهم بالمخاطر

الاَّ ان البحارة الاولين الذين كانوا يقصرون اسفارهم على الثغور القريبة من سواحل

المتوسط ربما كانوا اجهل من ان يراعوا قواعد الفلك والحساب او يستشيروا خريطةً او رسماً ولا غرابة في ذلك ونحن نرى كثيرين من بحارة السوريين يضارعونهم جهلاً واقتداراً على تسيير قواربهم بين الثغور الغريبة على قواعد تلقنوها من اسلافهم او تعلموها بالمزاولة

اما الذين تعدَّوا حدود المتوسط فانهم لقوا ما لم يعرفوا في مياههِ اذ تعرفوا بالمدّ والجزر وعلاقتهما بالشمس والقمر ولم يكونوا يخطئون الاَّ في ظنهم ان مدّ الربيع يكون على اشدّهِ في الانقلاب الصيفي مع انهُ يكون كذلك في شهر ديسمبر حيث تكون الشمس اقرب الى الارض منها في الفصول الاخرى

وكان بحارة العصور القديمة يتوارثون طرائقهم ويأخذون بعضهم عن بعضهم وكلهم حتى العصور الوسطى لم يتفق لهم الخروج بفن الملاحة عن البسيط الساذج . مع انهُ قيل ان الصينيين كانوا منذ اقدم العصور يستخدمون الحك في سفنهم فنقلهُ فلاڤيو جيوجا النابولي الى بلادهِ سنة ١٣٠٢ وقال الدكتور جلبرت ان الذي نقل الحك من الصين الى اوربا هو الرحالة المشهور ماركو باولو سنة ١٢٦٠ . وآثر بعضهم عن همبولدت قولهُ انهُ ورد في كتاب صيني من مؤلفات النصف الاول من القرن الثاني انهُ قبل ذلك بتسعمئة سنة اتى الصين سفراء من قبل تونكين وكوشين تشين فلما ارادوا الانصراف اركبوهم على عجلات ممغنطة لتسير بهم الى بلادهم من غير ان يضلوا الطريق وان بعد ذلك الوقت بنحو قرن استعمل الصينيون في سفنهم المغنطيس متجهين بهِ نحو الجنوب استهداء بهِ في اسفارهم البحرية

الآن بعض النقدة لم يجزموا بمعرفة البلاد التي توفقت لايجاد الحك. وآخرون ينسبون اصلهُ للصينيين وانهم كانوا يضعون قطعة من الحديد الممغنط على قطعة من الفلين فكأن فلاڤيو جيوجا رأى ذلك فاعمل الفكرة واخترع الابرة المغنطيسيَّة ولذلك اثبت لهُ بعض المؤرخين فضل اختراعها لانقلها عن الصينيين . غير ان هذا القول مردود بما آثر الاسقف جاك ده فتري مطران عكاءَ من وجود الحك في سوريا سنة ١٢٠٤ الى سنة ١٢١٥ وكأن الصليبيين نقلوهُ منها الى فرنسا لانهُ وجد فيها سنة ١٢٥٠ وفي نروج قبل سنة ١٢٦٦

وايٌّ كان مخترع الحك فلهُ الفضل على الملاحة لان باستعمالهِ اتضحت سبل السفن وتساوى في سيرها الليل والنهار قرب البر او ابعد وبهِ استعان كبار الملاحين على ارتياد البحار المجهولة واكتشاف ما وراءها وبهِ بدأ زمن الملاحة الحديثة الذي غيَّر اوضاع الفن القديم ونقلهُ من كونهِ فن تجربةٍ وامتحان الى علم باصول وقواعد

واستخدام الحك في السفن الاوربية جاء في زمن كان قريباً من عصر الانقلاب الذي

بهِ تغيرت الشؤُون وانطلقت العقول من عقالها وفتح للاجتهاد باب الكسب. فكان نجاح الملاحة سلسلة اول حلقاتها استعمال الحك فاندفاع البحارة لارتياد البحار المجهولة فاكتشاف البلدان من العالم الجديد فتردد المتجرين والمهاجرين اليهِ فاتساع دائرة الملاحة وانتباه النوابغ الى تحسينها عملاً وعلماً كل هذا رقي بها درجةً فدرجة حتى ان تلك القوارب المكشوفة التي يكاد لا يقوى نوتيها على مفارقة البر الاَّ خطوات معدودة صارت امهات هذه البوارج المدرعات والطراردات الهائلات والبواخر على تنوع اشكالها

ج · ي

تعريب الاسماء الاعجمية (١)

ايها السادة

ينبئنا التاريخ ان اللغة العربية كانت لآخر القرن الثاني عشر الهجري قد وصلت الى منتهى الضعة وكادت تصبح اثرًا دارسًا ولولا رجلان فكرا في احيائها ووجدا من خيرة الاعوان من كان شعارهم الاخلاص والجد لكنا اليوم على ما كان عليهِ سلفنا في اواخر ذلك العهد

اما اولهما فمحمد علي باشا موَّسس الاسرة الخديوية زادها الله تشريفًا وتكريمًا فانهُ وجد المرحوم رفاعة بك وتلاميذهُ بعد ان زجَّ بهم في مضمار الحياة فساروا شوطًا بعيدًا ووضعوا الحجر الاول في نهضة اللغة. كتبوا وترجموا شيئًا كثيرًا ابقتهُ لنا الايام دليلاً على اخلاصهم ثم على مقدرتهم واستعدادهم لم يتركوا فنًّا من الفنون التي كنا مستضعفين فيها الاَّ كتبوا فيهِ ترجمةً او من عند انفسهم، واما الثاني فهو صاحب الدولة المخلص في خدمة بلادهِ مصطفى رياض باشا فانهُ وجد الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وتلاميذهُ ورجال العزيمة من نابغي السوريين فقاموا بالنهضة الثانية وعهد الى الاستاذ المرحوم اصلاح الوقائع المصرية والاشراف على ما يكتبهُ ارباب الدواوين في محاوراتهم فكان ذلك منبهًا لهم ان يعتنوا باصلاح ما يكتبون وتعلُّم ما يجهلون. ومن اكبر مساعد لتلك النهضة الجرائد العربية على اختلاف مذاهبها ومشاربها فهي التي رفعت من قدرها وساعدت على رقيها بما كان يبذلهُ اصحابها من الهمة في اختيار اللفظ والاسلوب سواءٌ في ذلك فاضلهم ومفضولهم

اذا دبت الحياة في جسم فانها لا تقف عند غاية فان صاحبها دائمًا يرجو الكمال وهو ابدًا بعيد من الانظار كذلك نحن الآن فانا في بدء نهضة ثالثة يأخذ بيدها ويشد ازرها

---

(١) خطبة تليت في نادي دار العلوم بالقاهرة في ٣٠ يناير

ذو السعادة الوزير المخلص سعد باشا زغلول ناظر المعارف العمومية في عهد مولانا وسيدنا امير مصر عباس باشا حلمي الثاني فهو مؤيد النهضة الثالثة كما كان جدهُ مؤيدًا النهضة الاولى

تلك النهضة ان تكون اللغة العربية لغة تعليم وتعلُّم وكتابة وتكلُّم ينبت فيها الصغير ولا يخل بوزنها الكبير والأعوان اليوم اكثر منهم بالامس فان البذور التي غرست قد اثمرت في كثير من الانفس الطيبة فصارت من انفسها تطلب الغايات وترقب الكمال. والمعونة من مثل هؤلاء اعظم

هذا المطلوب ايها السادة عزيز المنال وعر المسلك فلا بدَّ للوصول اليهِ من عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتهيئة الطريق حتى لا تلتوي علينا المقاصد فنظن انفسنا سائرين للامام ونحن للخلف راجعون ننظر امامنا فنجد عقبات كثيرة لا بدَّ ان نقدرها قدرها حتى يمكننا تذليلها عقبات كثيرة لست في معرض احصائها الآن لاني اقتصر على عقبة واحدة جعلت مجال البحث بين ايديكم

بيننا محدثات كثيرة تصل بلادنا على ايدي المخترعين الذين قدروا بجدهم ان ينتفعوا من كل ما خلقهُ الله سبحانهُ للانسان ولم يكن آباؤُنا قد عرفوها حتى يعدوا لها العدة من الاسماء المبينة لمسماها. فنقف امامها مبهوتين لا ندري كيف نعبر عنها فاذا كتبنا وقف بنا القلم عندها حائرًا فمنا من يكتب اللفظ الذي وضعهُ المخترع ويحيطهُ بقوسين علامة على انهُ ليس من لغتنا او بعبارة اوضح علامة على نقص اللغة ونفورها من كل جديد . ومنا من يحتال لذلك فيؤدي المعنى بكلمة وضعها العرب بازاء مسمى آخر . وما يجدهُ الكاتب يجد مثلهُ المتكلم

لا يتفق الناس على شيءٍ يتبعونهُ وهذا نقص عظيم يجب ان نتلافاهُ وان نتفق على ما نستعملهُ لذلك وضعنا موضع البحث هذا السؤال

ما هي الطريقة المثلى للدلالة على المحدثات أتعريب الفاظها التي يضعها لها محدثوها وصقلها حتى تكون موافقة للهجات العرب ام التوسع في بعض الالفاظ العربية ووضعهُ بازائها

وقبل الافصاح برأيي في هذه المسئلة أُبين لحضراتكم كيف كان العرب المتقدمون يفعلون اذا عرض عليهم شيءٌ محدث من طريق غيرهم

ولا أُريد ان اتوسع في البحث الى ما وراء اسماء الاجناس فان اللغة العربية عندها من الثروة في الاسماء الدالة على المعاني ما لا تحتاج معهُ الى استعارة من غيرها اما اسماء الاجناس فانها بالضرورة تتجدد بحدوث مسمياتها والعرب كما تعلمون كانوا فقراء جدًّا في هذه المواد فانهم اهل بادية وحاجات المتبدي قليلة اذ ليس امامهُ الَّا سماؤُهُ وارضهُ وبهمهُ

وسلاحهُ ووجدانهُ فمن المعقول ان يتفنن في وضع ما يدل على اجزاء ذلك من الاسماء اما ادوات الحياة مما تخرجهُ الصنعة وتبدعهُ الفكرة فهو منها بعيد وقلما يتلقى باديهم شيئًا منها عن بلاد أُخرى لانهم انقطعوا عن الامم او كادوا

فاما الحضر منهم وهم سكان ريف العراق ومشارف الشام واليمن فقد كان لهم من جوار الفرس والروم ما جعلهم يتلقون كثيرًا من الاداة فتسوقهم حاجات التعبير والابانة عما في النفس الى ان يكون لذلك الشيء الذي استعملوهُ لفظ يعبر عنهُ والمعقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاثة طرق

الاول الوضع الجديد وهذا لا مجال للكلام فيهِ لان الاقدمين ما عولوا عليهِ وليس بيننا من يقول بهِ على ما اظن . وسبب هذا فيما اعلم ان احرف اللغة العربية قد شغلتها الاوضاع فقلما نركب ثلاثة احرف الَّا وجدنا مجموعها قد وضع واستعمل اللهمَّ الَّا حروفًا قلائل استثقل العرب جمعها في كلمة واحدة ومثل الثلاثة الاربعة والخمسة والستة

الثاني التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجوُّز بان يكون اللفظ قد وضع بازاء مسمى ولمناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل ذلك اللفظ في المعنى الجديد ككلمة تامور فانها في اصل اللغة القلب لانهُ وعاء الدم ثم توسعوا فيها فجعلوها لكل وعاء فاذا جاءهم اي وعاء على اي شكل استعملوا فيهِ لفظة تامور ولا يأْخذون عن غيرهم شيئًا حتى يتركوا كلمة ابريق التي وضعها صناعهُ لتدل على شكلهِ الخاص بهِ . ويبحثون في كلماتهم القديمة عن لفظ قديم يدل على ما يشبه الدينار والدرهم فيستعملونهُ فيهما ولا يأْخذونهما

الطريق الثالث التعريب وهو ان يؤْخذ من المخترع للشيء المسمَّى واسمهُ بعد ان يصقلوهُ بالسنتهم حتى يكون خفيفًا عليها مناسبًا للهجتها وهذا هو الطريق المعقول الذي اتبعهُ العرب وكل امة من امم العالم

مضى على الامة العربية زمن طويل قبل الاسلام وهي تتناول الالفاظ الدالة على الاجناس من واضعيها وتلحقها بلغتها من غير ان يقف في طريقها معارض

اخذوا الدينار والدرهم والحقوهما بابنيتهم واشتقوا منهما فقالوا فرس مدنر اي فيهِ نقط كالدينار وقالوا دنر وجههُ اي تلألأَ ودينار مدنر اي مضروب ودُنر فلان كثرت دنانيرهُ . وقالوا رجل مدرهم اي كثير الدراهم ودرهمت الخبازى صار ورقها كالدراهم . واخذوا اللجام واشتقوا منهُ فقالوا أَلجم وملجم ولجم وتجوزوا في استعمالهِ فقالوا التقى ملجم لانهُ يقيد اللسان ويكفهُ كما يفعل اللجام بالدابة

اخذوا من المصنوعات الاستبرق والسندس والاساور والابريق والطست والخوان والطبق والخز والديباج والهندسة والمهندس . واخذوا من النباتات النرجس والبنفسج والنسرين والسوسن والياسمين والجلنار والزنجبيل والقرفة والفلفل والكراويا والعنبر والكافور والصندل الى غير ذلك مما احصاهُ نقلة اللغة

وكانت قاعدتهم في التعريب على جهتين (الجهة الاولى) ان يلحقوا الكلمة بابنيتهم ومتى صارت الكلمة كذلك عدت من اللغة وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها. وكانوا يبدلون حرفًا مكان حرف لتقارب مخرجيهما كما فعلوا في لجام وكان اصلهُ لغام بالغين والجيم والغين متقاربان مع سهولة الجيم واذا كان الحرف بين كاف وجيم جعلوها جيماً لقربها منها ولم يكن بدٌّ من ابدالها لان ذلك الحرف ليس من كلامهم فقالوا جربز وآجر وجورب وربما جعلوها قافًا لانها قريبة ايضًا فقالوا قربز ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم الجيم فقالوا كوسج وساذج واصل ذلك كوسه وساده كما ننطق بهِ نحن الآن ويبدلون مكان الحرف الذي بين الفاء والباء الفاء فقالوا الفرند والفندق وربما جعلوها باء فقالوا برند فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منهُ ما قرب منهُ من الحروف الاعجميَّة . والجهة الثانية ان يبقوا الكلمة على وزنها عند الامة ذات الشأن في وضعها كما فعلوا في الابريسم والاهليلج وكما فعلوا في كثير من الاعلام وقصدهم من ذلك ان لا يبقى هناك كبير فرق في النطق بين اللفظين الاصل الاعجمي وثنيه العربي حتى يكون الفهم والافهام اللهم الاَّ ما دعت اليهِ ضرورة العربي في النطق

جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الاعجاز ووصفهُ الله سبحانهُ بانهُ لسان عربي مبين فاستعمل كثيرًا من الالفاظ التي عربتها العرب وهذا اقرار من الله سبحانهُ على طريقة التعريب

استعمل القسطاس والاستبرق والفردوس والمسك والكافور والزنجبيل والسندس والابريق والمشكاة واليم والطور وما شاكلها. وقد الف فيما عُرب واستعملهُ القرآن من الالفاظ استاذنا الحافظ اللغوي الشيخ حمزه فتح الله كتاباً جمع فيهِ من ذلك كثيرًا. وقد نقل عن ابن عباس ترجمان القرآن وكثير من التابعين واهل العلم والفقهاء ان هذه الالفاظ من لغات العجم سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربيَّة ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلمات العرب وهذا الذي جعل لبعض اهل العربيَّة ان يقول ان القرآن خلو من كلام غير العرب لان ما رضيتهُ العرب من

الكلمات بعد تعريبهِ صار عربيًا مبنيًا وأُلحق باحرف اللغة فلا حرج في استعمالهِ بعد

ومما ازيدكم بهِ بيانًا ايها السادة ان بعض الالفاظ التي عربها العرب موضوعة لاشياء تشابه ما لهُ اسم عربي ولكنهم اختاروا الاسم الاعجمي لدلالتهِ على شكل خاص للمسمى كما اخذوا كلمة ابريق وعندهم التامور واخذوا كلمة البط وعندهم الاوز للصغار والكبار واخذوا الهاون وعندهم المهراس والمنحاز واخذوا الطاجن وعندهم المقلى والميزاب . وعندهم المثعب وهو مسيل الماء في الوادي والسكرّجة . وعندهم الصحفة . والمسك وعندهم المشموم . والجاسوس وعندهم الناطس . والاترج وعندهم المتك وذلك لاسباب قوية منها ان اللفظ الذي عندهم عام واللفظ الجديد خاص فتكون دلالة ما عندهم على المسمى ضعيفة

هذا هديهم قبل الاسلام — اما بعد الاسلام فان العرب حينما جدوا في العلوم وارادوا ان تكون اللغة العربية لغة علم كما هي لغة قوم ولغة دين ترجموا اليها كتب العلم التي وصلت اليهم من امم الروم والفرس واتبعوا تلك الطريقة نفسها فكانوا يأخذون اسماء الاجناس كما هي ويستعملونها في كتبهم وينطقون بها كانها من لغتهم ووجد من هذا شيء كثير خصوصًا في الطب والحكمة والهندسة ولم يلتفتوا الى الرأي الذي يقول بالرجوع الى الوراء واستعمال الالفاظ التي اماتها الزمن لعدم صلاحيتها للاستعمال او المستعملة في معان أخرى

والفقهاء انفسهم لم يحجموا عن اخذ الالفاظ من غير اللغة العربية وتعريبها

يلزم من اتباع رأي التجوز مضار اهمها ان اللغة وضعت لتدل على ما في النفس حتى يفهم السامع تمام ما تريد واشتراك الالفاظ في المعاني مما يخل باصل المقصود . والتجوز لابد فيهِ من اقامة القرائن على ارادة ما استعمل اللفظ فيهِ وهذا وذاك كثيرًا ما اوقفانا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بعد ذلك ان نضيف الى آلامنا آلامًا

يقولون ان الحق في التعريب انما كان لامة سلفت وبادت فلم يبقَ لها من اثر وان ما كان يباح للاعراب في بواديهم على قلة حاجهم لا يباح مثلهُ لنا في القرون المتأخرة على كثرة الحاج وهذا كلهُ بنوهُ على قاعدة لا اساس لها وهي تشبيه اللغة بالدين في التمام فكما ان الله سبحانهُ اتم دينهُ الذي انزلهُ على رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم فكذلك العرب قد اتمت وضع لغتها ولم يبقَ من بعدهم من يحق لهُ ان يضيف اليها كلمة جديدة كما انهُ ليس لمسلم ان يضيف على دينهِ حكمًا جديدًا

لكن الفرق بين الامرين ظاهر فان الدين وضع الهي شرعهُ من لهُ حق التشريع والالزام وهو الله سبحانهُ واتم وضعهُ على قواعد راسخة واساس ثابت فلم يبقَ لاحد مجال ان

يزيد على هذه القواعد او ينقص منها اما اللغة فالمقصد منها الابانة والافصاح وهي من وضع الافراد تتجدد بتجدد الحاجات

وليس من قصدي ان ابحث الآن في امر اللغات أهي توقيفية ام وضعية فان ذلك مما فرغ منهُ العلماء وانتهى بهم البحث الى الرأي الثاني حتى ان كثيرًا من اصحاب الرأي الاول قالوا ان المراد بما وضع اولاً هو الكلمات التي تدل على مثل السماء والارض والهواء مما هو موجود منذ وجد الانسان اما ادعاء ان الالفاظ الدالة على المخترعات والمحدثات مما علَّمهُ الانسان الاول آدم صلوات الله عليهِ فهو مكابرة للمحسوس

ومتى ثبت انها تتجدد بتجدد الحاجة فالمحتاج من المتمسكين بها متى علم اصولها ولهجتها لهُ حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفهِ

ولا ادري ما الفرق بين من عُلّم اللغة تلقينًا من ابيهِ وامهِ وبين من علَّمها من معلم غيرهما واعتادها بعد ذلك في كلامهِ وكتابتهِ حتى صارت لهُ ملكة يمكنهُ ان يقف ساعة فيخطب بها من غير ان يحيد عن طريقها ويكتب كتابًا صحيحًا يقرأُ في ساعات او ايام

ان اخواني الذين يخالفونني في الرأي ويقولون بالتوسع في استعمال المفردات لا ينجون من تغيير الاوضاع والدلالات العربية

فهم بلا شك يتفقون معي في ان حق التغيير للحاجة ثابت لنا ومتى اتفقنا على نيل هذا الحق لم يبقَ الَّا التخير بين سهل واسهل ومفيد وتام الافادة. ولا مراء في ان اللفظ الذي وضعهُ واضعهُ للدلالة على شيءٍ اخترعهُ اسهل في الدلالة واتم في الافادة لانهُ وضع بازائهِ تمامًا كما وضع لفظ الابريق بازاء تلك الاداة التي نعرفها بخلاف الكلمة التي نتصيدها من موات اللغة فانها اما ان تكون موضوعة لشيءٍ هو اعم فنخصصها ويلزمنا ايجاد القرينة للدلالة على ما نريد فنحتاج الى لفظ وقرينة واما ان تكون مستعملة في شيءٍ فيهِ مجرد مشابهة كما بين الاوتوموبيل والسيارة فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على معنيين او معان كثيرة فالسيارة استعملت للدلالة على معنى هو القافلة او الركب فاذا قلت جاءَت سيارة هل يفهمني المخاطب بمجرد لفظي اظن لا بل لا بد مع ذلك من كلمة اخرى مبينة للمراد

لا ادري ما المانع من ان يدخل في اللغة ترام ويقال اترم ومترم كما قالوا لجام والجم وملجم

ان الكلمة التي نريد اصطيادها قد وضعها واضعها بالضرورة لتدل على معنى خاص فاذا نحن اخذناها واستعملناها في شيءٍ جديد لم نكن قد جرينا على لغة العرب لاننا خالفنا اوضاعهم ومقاصدهم فهم وضعوا بشكى وجمزى مثلاً للناقة السريعة فاذا جعلنا كلمة منهما

بازاء الترام نكون بلا شك وضعنا وضعاً جديداً لم يسبقنا اليهِ سابق . واجتلاب مثل هذه الالفاظ بالنسبة لمحفوظ اللغة كوضع الفاظ جديدة مؤلفة من احرف اللغة فسيان في الاعتراض على رأيهم ان نقول للترام بشكى وان نقول لهُ ترام لانهما كلاهما استبداد بوضع اسم لمسمى لم يكن لهُ وجود قبل الآن الأ ان وجه الضرر في الاول ظاهر كما يتضح وجه المنفعة في الثاني فانا في الاول نجري على خطة لا اساس لها مع وصف الخروج عن اوضاع المتقدمين وفي الثاني نجري على خطة اتبعها سلفنا مع الوضاحة التامة في الاسم والمسمى ولا ادري بعد ذلك ما الذي يدعونا الى تعسف الطرق لعلهم يرون في ذلك رأياً فيقولون انا باتباع الطريق الاول حافظنا على ما بين دفتي القواميس فلم نحد عنهُ قيد شبر ولم نخرج عما نطق بهِ العرب في بواديهم وفي ذلك من احترام الآباء واقناع الناس بغنى اللغة العربيَّة وثروتها حتى لا يهزأ بنا هازئ فيقول ان لغة تربو عدة كلماتها على الثمانين الفاً محتاجة الى ما يكملها و يسد ثلمة فيها

اما دعوى ان هذا محافظة على ما هو عندنا فغير صحيحة لانها انما تكون بالمحافظة على الاسم والمسمى الذي وضع اللفظ بازائهِ واذا لم نفعل ذلك كنا قد خيلنا على الناس تخييلاً لا قيمة لهُ وارتكبنا في التغيير من اوضاع القواميس ما لا يخفى لاننا اذا كتبنا لفظاً من هذه الالفاظ التي اخترنا التوسع فيها واستعمالها لشيء جديد أنذكر في قواميسنا معنييها القديم والحديث فنكون ابتدعنا واوقعنا السامع والمتعلم في حيرة ام نترك ذكر المعنى القديم ونقتصر على الحديث . ووصف هذا بالافساد في لغة المتقدمين واضح لا يحتاج الى بيان وخير منهُ ان نذكر لفظ ترام مثلاً بعد الاتفاق على لفظها ونذكر بجانبها معناها وانها مما عرب للدلالة عليهِ ونبين تاريخ تعريبها فيكون ما وضعهُ المتقدمون معروفاً وحدهُ وما الحقهُ باللغة المتأخرون معروفاً وحدهُ وهذه هي المحافظة الحقيقيَّة على ما ورثناهُ من سلفنا

واما ان يغتر مغتر بكثرة الفاظ اللغة حتى لا تحتاج الى مزيد ففيهِ غلطتان كبريان فان الثروة المزعومة لا نقول بها لانا ان طرحنا منها المترادف ما وجد معنا بعد ذلك اكثر من الثلث بهذا العدد فكثيراً ما نجد المعنى الواحد لهُ اسمان فاكثر الى خمسمائة اسم كما قالوا في السيف والخمر والهر والعسل وما شاكل ذلك وهذه ليست بثروة

والثروة التي اسلّم بها انما هي في اسماء المعاني وليست داخلة في موضوع بحثنا

واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيهِ لغة من لغات الامم الحية لان الامم كلما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج ترون مجامعهم في شغل دائم لا يأنفون ان يجدوا يوماً ما في لغتهم كلمة زائدة

دلت على معنى جديد واكثر احوالهم الاستعارة من غير لغتهم. واذا كنا نرى عقولنا قد وقفت عن الاختراع فاننا نرى انفسنا في حاجة الى استعمال مخترعات المخترعين والتعبير عنها

نرى رجال الجرائد وهم الذين يرجع اليهم معظم الامر في الاحياء والاماتة للالفاظ قد عرض عليهم في بعض الاوقات كثير من الالفاظ فهجروهُ واستمروا على استعمال ما وضعهُ الواضعون في جرائدهم فلا يزالون يستعملون تلفون مع انهُ قد ترجم لهم بكلمة مسرة ولم ارها في جريدة من الجرائد يوماً واحداً ويستعملون اوتوموبيل ولا يستعملون سيارة لئلا يختلط عليهم الامر بين السيارات السماوية والسيارات الارضية الى كثير مما يماثل ذلك وهذا اعتراف منهم او على الاقل شعور بان طريقة الترجمة والتوسع ضررها اكثر من نفعها وان طريق التعريب اوضح مسلكاً

النتيجة

بعد ان بينت لحضراتكم ما قام في نفسي على لزوم السير في طريق التعريب اقدم لحضراتكم مقترحي حتى تتناولوهُ بالبحث ليتمحص الحق

(١) تكوين مجمع يعهد اليهِ التعريب ينتظم ممَّن حيت فيهِ ملكة اللغة والعربية ومهر في معرفة مفرداتها ولهجاتها وانما لزم وجود المجمع لانهُ لا ضرر علينا وعلى لغتنا اشد من استبداد الفرد بالوضع او التعريب اذ هو مدعاة للاختلاف وهو اضر شيءٍ

(٢) ان يكون اختصاصهُ محصوراً في دائرة اسماء الاجناس والاعلام فاذا جاءهُ مسمى حديث او رأى شيئاً حديثاً مما هو موجود بيننا ولم يسبق ان وضع لهُ لفظ ورأى ان في اللغة لفظاً دالاً عليهِ بنفسهِ أطلقهُ عليهِ والاَّ عرب الكلمة الاعجمية وصيرها موافقة لاوزان العرب سهلة على السنتهم واتفق على حروفها وشكل كتابتها واخرجها للناس بواسطة الجرائد التي هي الحاكمة حكم رجال عكاظ في العصر الاول وهي الواسطة في التعليم والاظهار

والواسطة الثانية رجال التعليم الذين اليهم ينظر من عندهُ امل في تحسين اللغة واصلاحها وخصوصاً معلمي العربية منهم

(٣) ان يكون للمجمع سجل تقيد فيهِ هذه الكلمات وازاءها مسمياتها موضحة تمام التوضيح واحسن ذلك ما كان بالرسم وتشكيل المسمى ويكتب امامها التاريخ الذي وضعت فيهِ واذا كتب قاموس من القواميس حسب هذه الالفاظ بصفتها ملحقات للكلمات العربية ويكتب معها تاريخ تعريبها لكي يبقى الاصل محفوظاً على حدة والمعرب وحدهُ على حدة

هذا ما امكنني ان اوردهُ لحضراتكم ايها السادة في هذا الامر العظيم راجياً ان تنظروا

اليهِ بعين عنايتكم حتى تخلصونا من شر نحن فيهِ وانا وانتم محسون بهِ ولا تجعلونا في هذا الدور من ادوار الحياة كالغريق يلتمس ما يخلصهُ ولا يجدهُ

محمود الخضري
المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

* * *

العقل والدماغ

الانسان وهو على الفطرة لا يحسب ان لدماغهِ اقل فائدة · رجلهُ يمشي عليها ويدهُ يتناول بها وفمهُ وانفهُ وعيناهُ واذناهُ لكلٍ منها عملٌ ظاهر وفائدة لا تخفى · وقد لا يخفى عليهِ ان لكلٍ من معدتهِ وامعائهِ وقلبهِ ورئتيهِ اعمالاً خاصةً بها لانهُ يشعر بحركاتها واما دماغهُ فمحجوب عن نظرهِ فلا يراهُ ولا يشعر بهِ فلا يعلم من امرهِ شيئًا حتى ان الفيلسوف ارسطوطاليس على علو كعبهِ في العلم والفلسفة جهل وظيفة الدماغ مع انهُ عرف وظائف اكثر الاعضاء

وبقيت وظائف الدماغ محجوبة عن ادراك العلماء الى ان قام جالينوس الطبيب في القرن الثاني بعد المسيح وبيَّن ان الدماغ مركز القوى العاقلة · وشاع قولهُ ووافقهُ عليهِ علماء اليونان والرومان وتابعهُ علماء العرب الذين ترجموا كتبهُ فترى في كتاب عجائب المخلوقات للامام القزويني كلامًا في هذا الموضوع قال فيهِ ان الحس المشترك قوة في مقدَّم الدماغ والوهم قوة في وسط الدماغ والحافظة قوة في مؤَخر الدماغ . وقال ابن سينا في القانون ان الحس المشترك والخيال مبدأ فعلهما البطن المقدَّم من الدماغ · والمفكّرة او المتخيلة مسكنها البطن الاوسط من الدماغ . والحافظة موضعها البطن المؤَخر من بطون الدماغ

ثم غاض معين العلم واكتفى الناس بالنقل والمتابعة في الشرق والغرب الى ان نهضت اوربا نهضتها الاخيرة وفك علماؤُها قيود التقليد وبحثوا عن وظائف اعضاء الجسد بحث المحققين فانجلى لهم كثير من الغوامض ووضعوا علم الفسيولوجيا الحديث اي علم وظائف الاعضاء

الاَّ ان علماء هذا العلم تأخروا في اكتشاف وظائف الدماغ لانهم كانوا يقتصرون على البحث في ادمغة الحيوانات كالكلاب والقرود ولا يبحثون في ادمغة الناس · ثم انتبه الاطباء الى ان آفة تعتري المخ في جهة من جهاتهِ فتتعطَّل بسبب ذلك وظيفة عضو من اعضاء الجسد او قوة من القوى العقلية فاستنتجوا ان مركز تلك الوظيفة او تلك القوة في الجزء الذي تعطَّل من المخ · مثال ذلك قوة النطق الخاصَّة بالانسان فانها تتعطل اذا ايف الدماغ في

جزءٍ معلوم منهُ . قال للدكتور وليم هنا طمسن أُتيت بانسان فقد النطق تماماً وبقي يسمع ما يقال لهُ ويقرأ ما يقع نظرهُ عليهِ ولو لم يستطع التلفظ بهِ . وقال ذووهُ انهُ اختصم مع انسان آخر فوكزهُ هذا في عينهِ بشمسيَّة كانت في يدهِ فخرس لساعتهِ ولم يعد يستطيع النطق مع ان عينهُ لم تصب بمكروه . كأَن الضربة تخطَّت عينهُ من اعلاها وبلغ تأْثيرها دماغهُ حيث مركز قوة النطق وهذا المركز ملاصق لكرة العين يفصل بينهما عظم رقيق جدًّا في اعلى وقب العين . وبينما كنت اشرح قصتهُ لتلامذة الطب رأَى احدهم وفي يدهِ شمسية فاشار اليها بيدهِ واخذت الدموع تهطل من عينيهِ . وبقي هذا الرجل اخرس لم تعد اليهِ قوة النطق في ما اعلم

وقد ثبت ان هناك مركز النطق او التكلم لان كل الذين اصيبوا بآفة في ذلك المركز فقدوا النطق وكل الذين اصيبوا بآفات في اماكن اخرى من ادمغتهم لم يفقدوا النطق

وايضاحاً لذلك شبَّه الدكتور طمسن الدماغ بمخزن كبير فيهِ غرف مختلفة مفصول بعضها عن بعض وفي كلٍّ منها نوع خاص من البضاعة وانبوب يجري فيهِ الماءُ فاذا انبثق انبوب في غرفة من هذه الغرف فان الماءَ ينفجر منهُ ويتلف ما فيها من البضاعة اما باقي الغرف فتبقى بضائعها سليمة لانها مفصولة عن هذه الغرفة ولان انابيب الماء فيها بقيت سليمة . وهكذا الدماغ فانهُ اجزاءٌ مختلفة وفي كل جزءٍ منها شرايين دموية لتغذيتهِ . وتقوم سلامة الدماغ بوصول الغذاء الكافي اليهِ من الدم ويكون الدم في هذه الشرايين مضغوطاً ضغطاً شديداً حتى اذا انبثق شريان منها نشب الدم منهُ الى بعد شاسع . فاذا ضعف جدار شريان من شرايين الدماغ بسبب مرض مزمن في الكليتين فانشق فان الدم ينبثق منهُ بقوة ويشق الغلاف الرقيق الذي يغلف المادة الدماغية المجاورة لهُ فيعطل وظيفتها

وكان اكتشاف مركز النطق في الدماغ فاتحة بحث جديد واكتشافات باهرة ثم اتَّضح ان للنطق ثلاثة مراكز منفصلة بعضها عن بعض احدها في القسم السمعي من الدماغ حيث تسجل الكلمات التي تدخل الدماغ بالسمع والثاني في القسم البصري حيث تسجل الكلمات التي تدخل الدماغ بالنظر في القراءة والثالث في القسم الحركي وهو المتسلط على تحريك الحلق واللسان والشفتين لاجل النطق وهذا هو المركز الذي ايف في الرجل المشار اليهِ آنفاً

قال الدكتور طمسن دعيت مرَّة لاشاهد امرأَة نامت سليمة ونهضت في الصباح وهي لا تستطيع ان تقرأَ كلمة وقد ظننت اولاً ان العلة في عينيها ولكنها كانت ترى كل ما في غرفتها جيداً . وامتحنت قوتها في النطق فوجدت انها تسمع جيداً وتتكلم وتفصح على جاري عادتها ولكن مركز القراءة في دماغها ايف وهي نائمة بجلطة دموية في الشريان

الذي يرد بهِ الدم الى ذلك المركز ففقدت قوة القراءة تماماً ولم تسترجعها بعد ذلك ثم اصيبت بالسكتة الدماغية بعد سنتين وماتت بها

قال وقد يصاب مركز او اكثر من مراكز النطق دفعةً واحدة فقد شاهدتُ رجلاً استيقظ ذات يوم وهو فاقد قوة النطق وقوة القراءة لكنهُ بقي يسمع ما يقال لهُ ويفهمهُ . واتضح من ذلك ان لحفظ الارقام العددية وكتابتها وقراءتها مراكز اخرى غير المراكز التي تحفظ فيها الكلمات ويتلفظ بها فان هذا الرجل بقي يكتب الارقام الحسابيَّة ويقرأها جيداً ويعمل كل اعمال الحساب كما كان يعملها قبلما فقد النطق . وبقي يدير اعمالهُ التجارية وهو اخرس لا يستطيع ان ينطق بكلمة ولا ان يقرأ حرفاً

وثبت ايضاً ان العلامات الموسيقيَّة تحفظ في اماكن من الدماغ غير الاماكن التي تحفظ فيها الكلمات والارقام لان بعض الموسيقيين الماهرين فقدوا بغتة قوة قراءة العلامات الموسيقيَّة ولم يفقدوا قوة القراءة والكتابة . وغيرهم من الموسيقيين فقدوا قوة القراءة والكتابة ولم يفقدوا قوة قراءة العلامات الموسيقيَّة

واتضح من البحث في احوال الذين اصيبوا بآفات اعدمتهم النطق ان الكلمات تترتب في الدماغ ترتيب الكتب في رفوف المكتبة فاذا تعلَّم الانسان لغةً جديدة اضطرَّ ان يهيئ لها رفاً في دماغهِ يرتب كلماتها فيهِ . من ذلك ان رجلاً انكليزياً تعلَّم الفرنسوية واللاتينيَّة واليونانية ثم اصابتهُ آفة في دماغهِ افقدتهُ القوة على قراءة لغتهِ الانكليزية لكنهُ بقي يقرأ الفرنسوية واللاتينية واليونانية . اما قراءتهُ للفرنسوية فصارت كثيرة الخطإ وصار يخطئ في قراءتهِ للاتينيَّة ايضاً ولكن خطأهُ فيها اقل من خطإهِ في قراءة الفرنسوية وبقي يقرأ اليونانيَّة من غير خطإ كأن الرف الذي فيهِ الكلمات الانكليزية تلف كلهُ اما الرفوف الثلاثة الباقية فلم تتلف ولكن كان على رف اللغة الانكليزية كثير من الكلمات الفرنسوية وقليل من الكلمات اللاتينيَّة فنسي الكثير من الفرنسوية والقليل من اللاتينيَّة . هذا تعليلنا لهذه الحادثة . اما الاستاذ طمسن فعللها بان رف اللغة الفرنسوية تلف كثيراً ورف اللغة اللاتينية تلف قليلاً ورف اللغة اليونانية لم يتلف منهُ شيء

وظهر من حوادث اخرى ان كلمات اللغة الواحدة تترتب حسب اقسامها اللغوية فتكون الافعال في آخر الرف من الداخل وامامها الضمائر ثم حروف الجر ثم الظروف ثم الاسماء . قال الدكتور طمسن اتاني رجل لا يستطيع ان ينطق بكلمة فتراءى لي ان ورماً كالخراج تولد في دماغهِ حيث مراكز النطق وانهُ يمكن امتصاصهُ اذا عولج

بيوديد البوتاسيوم . ثم ابعدت عنهُ واخبرت الذين حولي على غير مسمع منهُ انهُ اذا شُفي من هذا الورم وعادت اليهِ قوة النطق فاول ما ينطق بهِ الافعال وآخر ما ينطق بهِ الاسماء . ثم جاءني بعد اسبوعين وكان قد شرع ينطق فأريتهُ سكيناً فقال "تقطع" وأريتهُ قلماً فقال "تكتب" . ثم جاءني بعد ثلاثة اسابيع فرأيتهُ يتلفظ بالافعال وبحروف الجر . وبقي اسابيع عديدة لا ينطق باسم من الاسماء وسبب ذلك ان الافعال هي اول شيءٍ نتعلمهُ فهي ارسخ في نفوسنا من كل اقسام الكلام

والذين شاهدوا الدماغ ولو دماغ خروف او عجل رأوا ان قسميهِ الايمن والايسر متماثلان تماماً وكذلك دماغ الانسان كأَن للحيوان والانسان في جملتهِ دماغين كما ان لهُ يدين ورجلين وعينين واذنين ومنخرين ووجهين . ومما يقضي بالعجب ان مراكز العقل موجودة في نصف واحد فقط من نصفي دماغ الانسان فاذا كان اعسر فمراكز قواهُ العقلية في النصف الايمن من دماغهِ واذا كان عادياً اي يستعمل يدهُ اليمنى كما هو الغالب فمراكز قواهُ العقلية في النصف الايسر من دماغهِ . واكثر الناس يستعملون يدهم اليمنى فمراكز عقولهم في الجهة اليسرى من ادمغتهم وهي التي تفتكر وتستدل وتستنتج واما الجهات اليمنى من الدماغ فعاطلة من القوي العقلية . وهذا يفسر لنا كيف ينزع جانب كبير من الدماغ في بعض الآفات او العمليات الجراحية ويبقى العقل سليماً لان العقل لا يكون في القسم الذي نزع بل في القسم الآخر . بل ان بعض الناس عاشوا سليمي العقل بعد نزع نصف دماغهم وما ذلك الاَّ لان العقل كان في النصف الآخر

والظاهر ان سبب ذلك هو ان الطفل يُولد ودماغهُ لا يعقل شيئاً اي ليس فيهِ شيء من المعلومات الاكتسابيَّة ثم تأْخذ المؤَثرات تؤَثر فيهِ الواحد بعد الآخر وتنطبع آثارها ولا فرق في اول الامر بين ان تنطبع في الجهة اليمنى او اليسرى من دماغهِ كيفما اتفق . ومن المحتمل انها لا تأْخذ جهة واحدة في اول الامر بل تنطبع هنا مرةً وهناك مرةً كيفما اتفق ثم يأْخذ الطفل يستعمل يدهُ اليمنى واعصابها آتية من الجهة اليسرى من الدماغ كما لا يخفى فتصير المدركات باللمس تنتقل الى تلك الجهة وتنطبع فيها ويتبعها غيرها من المؤَثرات . ولو استعمل يدهُ اليسرى اولاً لذهبت التأْثيرات الى الجانب الايمن من دماغهِ وانطبعت فيهِ . ومعلوم ان الطفل يتكلم اولاً بالاشارات ثم يتبعها النطق بالكلام فيسير تأْثير النطق الى حيث سبقهُ تأْثير الاشارات لا سيما وان المركز الدماغي الذي يحرك اليد مجاور للمراكز التي تحرك عضلات الوجه واللسان والشفتين . ومتى تكونت المراكز التي تنطبع فيها الكلمات تلتها

المراكز التي تنطبع فيها الافكار لان التفكير متصل بالنطق او ناتج عنهُ

ولنلتفت الآن الى الرجل المشار اليهِ في اول هذه المقالة اي الذي فَقَدَ قوة النطق لان طرف الشمسية وخزهُ في اعلى عينهِ فان الوخزة اثرت في التلفيف المسمَّى تلفيف بروكا من تلافيف دماغهِ . وفي النصف الايمن من دماغ ذلك الرجل تلفيف آخر مثل التلفيف الذي ايف وهذا التلفيف بقي سليماً فلماذا لم يقم مقام التلفيف الذي إيف والجواب ان اجزاء الدماغ مثل صفائح الفونوغراف فاذا كان عندك صفيحتان ارتسم على احداهما كلام احد الخطباء ولم يرتسم على الاخرى شيءٌ ثم اتلفت الاولى فهل تقوم الثانية مقامها لو وضعت في الفونوغراف وهي خالية من آثار الكلام كلاَّ . وكذا اجزاء الدماغ الخالية من اثر المؤثرات على انواعها فانها لا تقوم مقام الاجزاء التي فيها آثار تلك المؤثرات . وقد يحدث ان يفقد الانسان بصرهُ وعيناهُ سليمتان كما يفقد النطق وفمهُ ولسانهُ وشفتاهُ سليمة كلها او يفقد السمع واذناهُ سليمتان وما ذلك الاَّ لان آفةً اصابت مركز البصر او النطق او السمع في دماغهِ

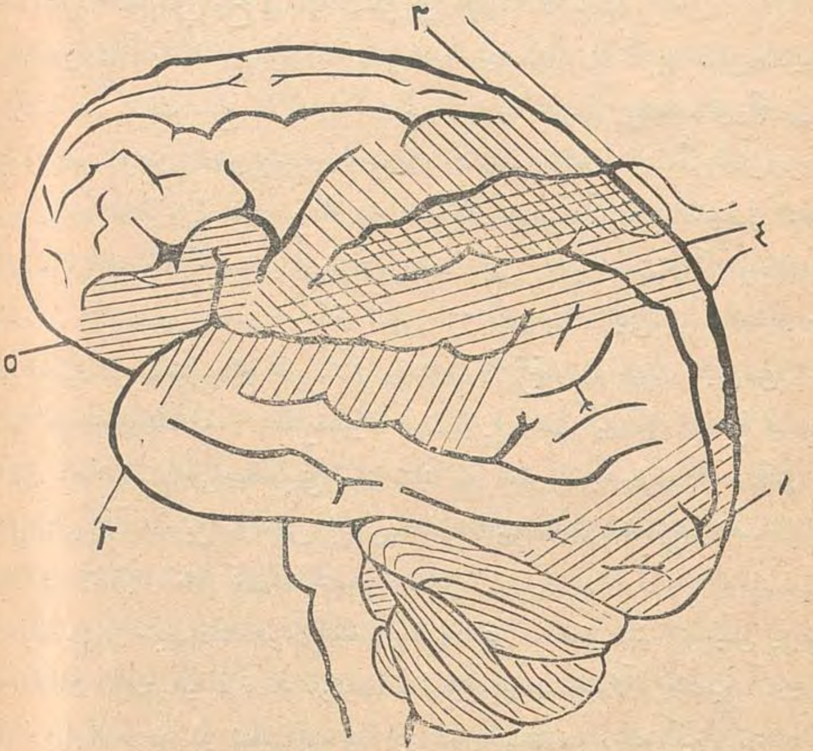

ترى في هذا الرسم صورة النصف الايسر من الدماغ فحيث الرقم ١ في مؤخر الدماغ

فوق المخيخ مركز النظر وحيث الرقم ٢ مركز السمع وحيث الرقم ٣ في اعالي الدماغ مركز الحركة وحيث الرقم ٤ مركز اللمس وحيث الرقم ٥ او تحتهُ قليلاً مركزا الشم والذوق

وهذه المراكز موجودة طبيعيَّة في نصفي الدماغ الايمن والايسر على حدّ سوى وهي تولد مع الطفل او تكون في دماغهِ منذ ولادتهِ فاذا كبر وبلغ اشدَّهُ وزادت معارفهُ تولَّدت في دماغهِ مراكز جديدة فيصير للنظر مراكز مختلفة بعضها لصور الاشباح وبعضها لصور الكلمات وبعضها لصور الارقام وهلمَّ جرًّا · وكذلك يصير للسمع مراكز مختلفة بعضها لاصوات الكلمات وبعضها لاصوات الانغام وبعضها لاصوات المواد وهلمَّ جرًّا · فاذا سمعت رجلاً يتكلم بلغة اجنبيَّة لا نعرفها تسمع اصواتهُ بمركز السمع الطبيعي فتحسبها كلها واحدة او متشابهة وقلما تسمع فرقًا بينها لان ليس لكلماتها مراكز في دماغك ولكنك اذا تعلمت تلك اللغة تصير تميز بين كل صوت وآخر وكل كلمة واخرى كأَن مراكز جديدة تولَّدت لها في دماغك فتتأثر من سماع اصواتها وكلماتها · وهذه المراكز الجديدة تتولَّد حول المراكز الطبيعية فمراكز السمع تتولد حول مركز السمع الطبيعي او في جوارهِ ومراكز البصر تتولد حول مركز البصر الطبيعي او في جوارهِ وهلمَّ جرًّا ولكنها لا تتولَّد في نصفي الدماغ معًا بل في نصف واحد فقط وهو النصف الايسر الَّا اذا كان الانسان اعسر فانها تتولد حينئذٍ في النصف الايمن

فكل ما نولد بهِ من القوى والمشاعر توجد مراكزهُ في نصفي الدماغ على حدٍّ سوى وهي تتسلط على الحس والحركة واما ما نكتسبهُ اكتسابًا فتتولد مراكزهُ في الجانب الايسر او الايمن من ادمغتنا حسب استعمالنا اليد اليمنى او اليسرى

ولكن اذا عرض عارض للجانب الايسر من الدماغ مثلاً فايف بهِ مركز النطق وفقد الانسان نطقهُ وكان لا يزال ولدًا صغير السن لم يتعذَّر عليهِ تقوية مركز النطق الذي على الجانب الايمن من دماغهِ فيسترد ذلك الولد قوة النطق

واذا اتفق ان اربي الانسان اعسر فليس من الحكمة منعهُ عن استعمال يدهِ اليسرى وحثهُ على استعمال اليمنى بعد ان يصير قادرًا على الكلام لئلاَّ تتشوش مراكز دماغهِ ولا يعود قادرًا على النطق او على الافصاح كالغراب الذي اراد ان يتعلم مشية الحجل فنسي مشيتهُ الاولى ولم يتعلم الثانية

قلنا ان الانسان يولد وفي دماغهِ مراكز طبيعية مختلفة متساطة على الحس والحركة وهو من هذا القبيل مثل سائر الحيوانات فانها كلها تحس وتتحرك وفي ادمغتها او اعصابها مراكز للحركة ومراكز للحس او الشعور فمراكز الحركة تحرك اعضاءها ومراكز الحس او الشعور تحس

او تشعر بالمؤَثرات الخارجية او الداخلية ودماغ الانسان لا يفرق عن ادمغتها من هذا القبيل . فقد اثبت الاستاذ هكسلي ان ليس في دماغ الانسان تلفيف مفقود من دماغ

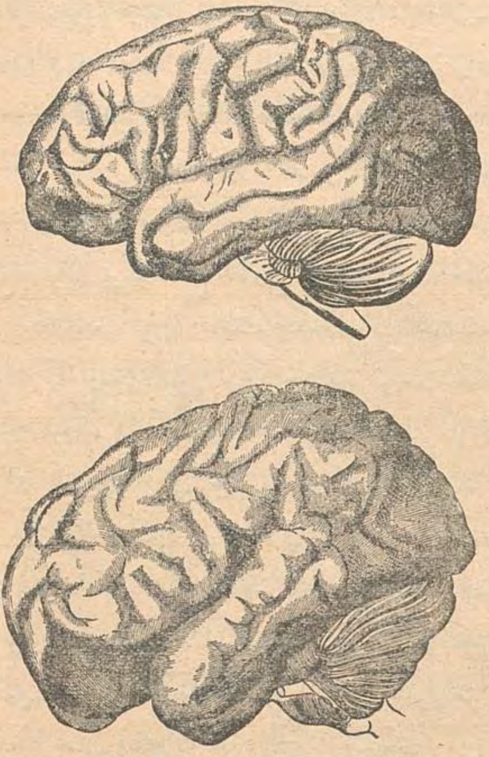

الصورة العليا صورة دماغ امرأة من الزنوج المعروفين بالبشمن والسفلى صورة دماغ الارنغ اوتنغ وهو نوع من القرود والمماثلة في تلافيفها واضحة

الشمبنزي من انواع القرود فكيف تتولَّد المراكز الجديدة المميزة لدماغ الانسان عن ادمغة غيرهِ من انواع الحيوان فيصير ناطقاً حاسباً مفكرًا مخترعاً والجواب انها تتولَّد بالمزاولة كما يحدث في تعلُّم لغة جديدة فاذا اردت ان تتعلم الفرنسوية مثلاً فلا تستطيع ان تستأجر احدًا ليتعب في تعلُّمها عنك كما تستأجر رجلاً يبني لك بيتاً فيبنيهِ ولا تستطيع ان تتعلمها بمجرد التفكير فيها كما تحل المسائل الحسابيَّة بالتفكير فيها بل لا بدَّ لك ان تعكف على تعلمها بنفسك كلمةً كلمةً وجملة جملةً و يوماً بعد يوم وشهرًا بعد شهر حتى تنطبع كل كلمة من كلماتها في دماغك اي حتى يصير لها اثر خاص في الدماغ تشعر بهِ الذاكرة او يشعر بهِ العقل. وهذا العمل شاق جدًّا ولا سيما بعد ان يكبر الانسان ما لم تشغل مراكز دماغهِ بمؤَثرات لغوية فانها تستسهل حفظ المؤَثرات الجديدة لما بين الاولى والثانية من التشابه . والفاعل الاكبر في ذلك هو ارادة الانسان فهي التي تمكنهُ من التعلم والحفظ وكأَنها خارجة عن عقلهِ ومسلطة عليهِ

الاطيان والضرائب بالقطر المصري (١)

قصيدة

وقفتُ وما لي في الخطابة موقفٌ ولا انا ممن تجتبيهِ المنابرُ
ولكنْ لمثلي اذ اقرّ بعجزهِ امام كرام قد تصحُّ المعاذرُ
وقفتُ وقلبي ملؤُهُ الحُبّ و لوفا لابناء مصر وهو بالودّ عامرُ
وقفتُ لأُبدي في الاراضي مقالةً تشفُّ عن الماضي فيدُركُ حاضرُ
وليس لقولي في السياسة مغمزٌ ولا انا فيهِ للخرافات ذاكرُ
وقفتُ بحيث الفضل حطّ رحالهُ وحيث محيطاتُ العلوم زواخرُ
وحيث سماءٌ للمعارف اشرقت بها من بني مصر نجومٌ زواهرُ
شبيبتها بل هي دعائمُ مجدها ومن بمزاياهم تشاد المفاخرُ
واني طروب اذ افوه بمدحهم واني ولوع ان تزيدَ البشائرُ
يهنئُ قلبي أُمتي بسرورها بمستقبل دلّت عليهِ البوادرُ
وأُهدي لمن قامت بحكم رعيهم ادارة ذا النادي الثنا وهو عاطرُ
فقد صار روضاً للفضائل يانعاً شبيبةُ مصر في فناهُ ازاهرُ
وفاه لسانُ الحال منهُ وقولهُ زهوتُ فاعضائي — بلطفي — تفاخرُ
فيا نادياً قد ظلّ للعلم مجمعاً لقد حار في غاياتِ وصفك زائرُ
وكيف يُدانى كُنه وصفك بعد ما اظلّتك من عباس حلمي مآثرُ
مليكٌ لهُ فضلٌ على العلم اذ غدت بهِ تضرب الامثال وهي سوائرُ
فلا زالت الافواه تتلو صنيعهُ فتزهو بذكرى ما ينيلُ المنابرُ
ولا برح الاقبال عبد سموّهِ وانجالهُ ما لاح في الافق زاهرُ
واني لراجٍ يا أُولي الفضل عفوكم اذا فرطَتْ في القول مني بوادرُ

ينقسم موضوع هذا الخطاب الى ثلاثة اقسام وهي — الاول في الاطيان — والثاني في كيفية تقدير الضرائب وترتيبها على الاطيان والاسباب التي يبنى عليها رفعها عنها — والثالث في كيفية جباية الضرائب

---

(١) انشاها حضرة الباحث المحقق جرجس بك حنين مدير الاموال المقررة في نظارة المالية المصرية ليتلوها في نادي المدارس العليا

القسم الاول

ان علماء الجغرافية يقدرون مساحة اراضي القطر المصري باربعمائة الف ميل مربع . وهذا المقدار يوازي مائتين وسبعة واربعين مليونًا من الفدادين التي عبرة كل منها ٤٢٠٠ متر مربع وكسور وهي جميع الاراضي الكائنة في الحدود التي تؤدي الحكومة المصرية عنها خراجًا للدولة العلية العثمانية بمقدار ٦٥٨١٣٥ جنيهًا مصريًا او ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية سنويًا . اما هذه الحدود فهي في الشمال من الشرق العريش ومن الغرب حدود برقة وفي الجنوب من الشرق هيكل ادندان ومن الغرب ناحية فَرَس . وذلك يشمل طبعًا مساحة الصحاري والقفار والبراري والجبال . اما الاراضي العامرة وهي المعروفة بوادي النيل فالمحصور منها الى الآن لم يزد عن ثمانية ملايين فدان موزعة على ثلاثة آلاف وستمائة واثنين وتسعين مدينة وقرية يتبعها ثمانية عشر الف واربعمائة عزبة وكفر ، من ذلك مليون ونصف مليون فدان اطيان باقية على ذمة الحكومة . وثلاثمائة الف وعشرة آلاف فدان مستعملة في المنافع العمومية . والباقي الذي تدفع عنهُ الضرائب هو خمسة ملايين وثمانمائة الف فدان . ويبلغ مجموع ما يدفع عنها من الضرائب بحسب تقدير سنة ١٩٠٨ ٥٠٦٣٠٠٠ جنيه مصري على متوسط ثلاثة وتسعين قرشًا عن كل فدان

ولم يكن يبلغ مقدار ما يدفع عنهُ ضرائب في سنة ١٨٠٥ اكثر من مليونين ونصف مليون فدان . ذلك لان انتشار الاوبئة وتوالي الشراقي والانقسامات الداخلية والحروب الخارجية وتغلب الجهل واستبداد الحكام وفساد الاحكام هبطت بالبلاد الى مهاوي الخراب فمن ذلك ما يرويهِ بعض المؤرخين مثلاً عن اقليم الفيوم انهُ كان يحتوي ثلاثمائة وستين قرية على ثلاثة اقسام احدها يسمى الريان والثاني يسمى وردان والثالث الفيوم وقد خرب الاول بانكسار السد المعروف بحائط المنيا واندفاع ما كان وراءهُ من المياه التي اغرقت وادي الريان وخرب الثاني واكثر الثالث حتى لم يبقَ الاَّ ستة وثمانون بلدًا . وهكذا كان الحال في اكثر البلاد الى بداية عصر المرحوم محمد علي باشا فاهتم باحياء الارض الموات وتابعهُ في ذلك خلفاؤُهُ حتى بلغ مقدار الارض العامرة في المائة سنة الماضية اكثر من ثلاثة اضعاف ما كان عليهِ مقدارها على اثر جلاء الفرنساويين عن مصر . ولتمام الفائدة نأتي في ما يلي على توضيح بعض الوسائط التي استعملت لذلك وهي

اولاً . أنعم محمد علي بقسم من الاراضي الموات على ارباب الطبقة العالية من اصحاب

الثروة لكي يستعمروها و يستثمروها ولم يقتصر في ترغيبهم في ذلك على مجرد اعطائهم الارض مجاناً بل اضاف الى ذلك اعفاءها من كل ضريبة وسماها رزقة بلا مال وظلوا متمتعين بها ومتنعمين بايراداتها غنيمة باردة مدة خمس واربعين سنة الى ان تولى الاحكام المغفور لهُ محمد سعيد باشا وحينئذٍ قررت الحكومة تكليف اربابها بان يؤدوا للحكومة عشر غلاتها عيناً ولكنها اي الحكومة لم تنجح في هذه الطريقة لسبب ما اعترضها من المتاعب والمشاكل ولذلك استبدلت قيمة ذلك العشر بضريبة نقدية سنوية فرضتها على كل فدان بدرجات ثلاث متفاوتة وهي الضريبة التي عرفت بالعشورية وسُمّيت الاطيان المقررة عليها عشورية تبعاً لذلك

ثانياً . لما رجع العربان من المهاجرة التي فيها كانوا أجلوا عن البلاد بخيلهم ورجلهم على اثر البطش والفتك والتمثيل الذي حاق بهم بامر المرحوم سعيد باشا في سنة ١٢٧٢ هجرية ارادت الحكومة تعويدهم على الشغل بالزراعة ليرتزقوا منها بدلاً مما كانوا يألفونهُ من الغزوات والسلب والنهب والعبث بالامن العام فاعطتهم اطياناً واسعة في الشرقية بنوع خاص وفي بعض جهات اخرى من براري الغربية والبحيرة والجيزة والفيوم والمنيا وغيرها

ثالثاً . في سنة ١٢٨٣ هجرية قرَّرت الحكومة بناءً على طلب مجلس شورى النوّاب اعطاء اراضي البراري مجاناً لمن يرغب في امتلاكها على شرط ان يتعهد باصلاحها واستعمارها وأعطيت بمقتضى هذا القرار اطيان واسعة في عدة جهات وأُعفيت من الضرائب خمس عشرة سنة

رابعاً . لما انحلّت في سنة ١٢٨٤ اورط الجيش التركي المصري المعروفة بارادي الباشبوزق وخافت الحكومة من ان يكون وجودهم بلا عمل سبباً للعبث بالأمن اعطتهم اراضي لكي يعمروها و يعيشوا من ايرادها فاعطت عشرة افدنة للعسكري غير المتزوج وعشرين فداناً للمتزوج المجرد من الاولاد وثلاثين فداناً لمن لهُ اولاد و يتبع ذلك ما يلزم للبناء من الطوب والعمارة وما يلزم للارض من البذار

خامساً . جاء الى مصر بعض المهندسين الفرنساويين وطلبوا الى الحكومة اعطاءهم اثنين وعشرين الف فدان من براري بسنتاواي في البحيرة لكي يصلحوها بالوسائط الهندسية العصرية وتصير ملكاً لهم فأُجيب طلبهم الى ذلك في سنة ١٨٧٩ وهي الاراضي التي عرفت باسم شركة الكوم الاخضر

سادساً . في سنة ١٨٨٤ افرنكية قررت الحكومة اعطاء الاراضي غير المحصورة المعروفة

بخارج الزمام مجاناً لمن يرغب في اخذها واصلاحها مع اعفائها من الضرائب مدة عشر سنوات وبناء على ذلك اعطيت اراضي كثيرة جدًّا وفي جملتها المنطقة التي حفرت لريها في سنة ١٨٨٦ الترعة التي سميت النوبارية نسبة الى المرحوم نوبار باشا رئيس النظار يومئذٍ صاحب ذلك المشروع

سابعاً . وفي سنة ١٨٩٤ أفرنكية قررت الحكومة اعطاء اراضي البرك والمستنقعات مجاناً لمن يرغب في ردمها وتجفيفها مساعدة لحفظ الصحة العمومية

ثامناً . باعت الحكومة الآلاف المؤلفة من الاطيان البور بمديريتي الشرقية والبحيرة باثمان واطئة جدًّا وبعضها بالتقسيط — فضلاً عما باعتهُ لارباب المعاشات وما ابتاعتهُ من الدومين لارباب المعاشات ايضاً مما كان الكثير منهُ في عداد الارض البور الموات واصبح بفضل الاصلاحات من احسن واجود الاطيان

تاسعاً . عند مساحة فك الزمام العمومي وُجدت زيادات كثيرة في اطيان اكثر الناس فمنحتهم حق امتلاكها مجاناً ما عدا الذي كان ظهورهُ ناشئاً من الجور والتعدي على اطيان الحكومة المجاورة

عاشراً . وعند مساحة فك الزمام العمومي ايضاً وُجدت جملة اجزاء صغيرة من املاك الحكومة متخللة املاك الافراد فمنحتهم حق امتلاكها في مقابل اداء ضرائب ثلاث سنوات عنها — وعدا ذلك اعطت من اطيانها تعويضاً عما ظهر ناقصاً من اطيان الافراد الملاصقة لاطيانها

فكل هذه الوسائط وغيرها مما لم يرد في الذاكرة الآن كانت سبباً في ايجاد نهضة غير اعتيادية عمرانية زراعية مالية زادت في ثروة البلاد وايرادات الحكومة

وقد ينتج من توزيع الثمانية الملايين من الافدنة على مجموع سكان القطر المصري بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ ان كل ١٢٢ نفساً يخصها مائة فدان و يقال ان هذه النسبة لا نظير لها في اي مملكة من ممالك اوربا . وبتوزيع مساحة الارض التي تؤدي ضريبة يخص كل مائة نفس ثمانية وخمسون فداناً على ان حقيقة عدد المالكين للارض هو ١٢٣٠٥٨١ على متوسط خمسة افدنة تقريباً لكل نفس او خمسمائة فدان لكل مائة نفس — وهذا العدد من مالكي الاطيان منهُ ٨٨ في المائة يملك كلٌّ منهم خمسة افدنة فاقل وكمية ما يملكونهُ من الاطيان يوازي ٢٤ في المائة من المجموع العمومي — و ٦ في المائة من ذلك العدد يملك كل منهم لغاية عشرة افدنة وكمية ما يملكونهُ ١٠ في المائة من مجموع الاطيان — و ٣ في المائة يملكون لغاية

عشرين فدانًا وكمية ما يملكونهُ تساوي ٩ في المائة من مجموع الاطيان فهذه الدرجات الثلاث ٩٧ في المائة من عدد أرباب الاطيان وكمية ما يملكونهُ يساوي نصف مجموع الاطيان والنصف الآخر بايدي ثلاثة في المائة من عدد المالكين وفي جملتهم ستة آلاف شخص من الاورباويين والحمايات يملكون ٦٦٥٠٠٠ فدان بنسبة ١٠ في المائة من مجموع الاطيان

ومع ان الاحصاءات المذكورة حديثة العهد من سنة ١٨٩٨ فانها تدل على ان الدرجة الاخيرة اي الذين لا يملكون اكثر من خمسة افدنة لكل منهم كانوا في سنة ١٨٩٨ بنسبة ٨١ في المائة يقابلها بالوقت الحاضر ٨٨ في المائة وكانت كمية اطيانهم بنسبة ٢١ في المائة فاصبحت الآن ٢٤ في المائة وليس بعد ذلك ما يدعو للريب في ان صغار الملاّك وهم السواد الاعظم تزداد ثروتهم من وقت لآخر

اما المواقع الشهيرة للاطيان فهي في الوجه القبلي — شرق النيل -- غرب النيل — غرب البحر اليوسفي — الواحات الداخلة والخارجة التابعة لمديرية اسيوط - الواحات البحرية اوالواحات الفرافرة التابعة لمديرية المنيا — وفي مديرية الجيزة بلاد شرق اطفيح - شرق بحر اللبيني -- غرب بحر اللبيني — بلاد القليوبية — بلاد الشرق في الشرقية والدقهلية — وادي الطميلات عند التل الكبير — بلاد البحر الصغير — بحيرة طناح بالدقهلية — براري بلقاس والمندورة — بلاد البرلس — بلاد روضة البحرين بالغربية والمنوفية — بلاد البحيرة — براري مريوط — اراضي أبو قير — اراضي سيوه — مرسى مطروح

وتنقسم الاراضي الى ثلاث مراتب زراعية — الاولى اراضي الحوشات وتعرف بالارض المسقاوي وهي اغلاها قيمة واوفرها غلة وفائدة لانها تزرع كل اصناف الزراعة في المواسم الثلاثة وهي النيلي الذي فيهِ تزرع اصناف الذرة النباري والشامي والرز الذي يعرف بالسبعيني والدنيبه -- (٢) الشتوي وهو الذي فيهِ يزرع القمح والفول والعشير والعدس والترمس والحلبة والبرسيم والكتان والقرطم والجلبان والبسلة واللوبيا — (٣) الصيفي وهو الذي فيهِ يزرع القطن والقصب والفول السوداني والرز السلطاني والحناء والذرة القيظي والخضروات. وقد امتازت اراضي الوجه البحري بقابليتها لزراعة اي صنف من كل تلك الاصناف. ويشابهها في الوجه القبلي اراضي الحوشات سواءٌ كانت القديمة او الحديثة العهد. اما المرتبة الثانية فهي اراضي الحيضان العمومية في الصعيد وهذه لا تزرع في السنة الواحدة الاَّ مرة واحدة من اصناف الحبوب الشتوية التي مرّ ذكرها. ومثلها بلا فارق ارض الجزائر المرتفعة سواءٌ كانت في وسط نهر النيل او على ضفتيهِ وهي الارض التي تنحسر اي تنكشف عنها المياه قبل

او لغاية شهر نوفمبر على الاكثر . اما المرتبة الثالثة فهي ارض الجزر والكشبان المعروفة بطرح البحر . او الجلْه . او المواطي . او الزبلاوي . واكثرها في بلاد الوجه القبلي ولا تزرع شيئاً بالكلية غير اصناف المقاثيء وهي البطيخ والشمام والخيار والقثاء وبعض الخضارات

ولا يجب ان يفهم من هذا القول ان ارض الحيضان او الجزائر او المواطي لا تنبت القطن او القصب او غيرهما من الاصناف الصيفية ان زُرع شيء منها فيها . بل انها قابلة كغيرها من الارض لانماء اي صنف ولكنها لا يأتي اليها الماء الاَّ مرة واحدة في السنة في وقت فيضان النيل فتغمر المياه ارضها وذلك يكون في الوقت الذي فيهِ تكون تمت زراعة اصناف الصيفي وابتدأَت دورها الاول في النمو — وتحويل ارض الحيضان الى مزارع صيفية هو من الامور الممكنة مع وجود المال وضمانة وجود الماء الكافي لزرعها اصنافاً صيفية . اما الجزائر فمن المستحيل تحويلها الى مزارع صيفية الاَّ ان بني عليها سور بالبناء لحجز ماء الفيضان عنها ذلك لانها كما قلنا واقعة في وسط النهر او على ضفتيهِ وفيضان النيل امر لا بدَّ منهُ وفي ارتفاعهِ لا مفر من غمر ما في وسطهِ وما على جانبيهِ . اما الارض التي لا يصل الفيضان اليها فهي المعروفة بالارض العلو

ولغاية اوائل عصر المغفور لهُ محمد علي باشا كانت اكثر اراضي القطر المصري لا تزرع الاَّ زراعة شتوية من اصناف الحبوب وبعض زراعة نيلية من صنف الذرة النباري والقليل جدًّا من القصب البلدي الذي كانوا يزرعونهُ ليصنعوا منهُ العسل الاسود والسكر البلدي المعروف بالكسر والخوَّامي . وكانوا يكثرون من زراعة الرز والنيلة البلدي التي كانت توجد عدة مصانع كبيرة لتسويتها وصناعتها في كثير من البلاد وذلك لكثرة ما كانت البلاد في حاجة اليهِ لان اكثر ملابس الناس على اختلاف طبقاتها لم تكن الاَّ سوداء سواءٌ كانت للرجال او للنساء

وفي سنة ١٨٣١ بدئَ بتجربة زراعة القطن بناءً على اشارة من يسمى المسيو جومل احد اصدقاء محمد علي فنجحت نجاحاً تامًّا وشعر الناس بفائدتها فاكثروا من زراعة هذا الصنف وتفننوا في اتقان اساليب زراعتهِ ودقة التأَمل بالتجربة لما يحسن نموهُ في ارض ولا يحسن نموهُ في غيرها من مختلف البلاد حتى بلغ عدد اجناس ما يزرع من القطن الآن اثني عشر جنساً او اكثر منها ما يسمى بالعباسي — والاشموني — واليانوفتش وغيرهِ — وفي عصر الخديو اسماعيل جيءَ بالقصب من الجمايكه ونجحت زراعتهُ وكثرت جدًّا في بلاد الصعيد وانشأَ الخديو المشار اليهِ عدة فابريقات في املاكهِ الخاصة لعصر القصب واستخراج السكر

المشهور بجودتهِ والعسل والاسبيرتو · وكان هو ذاتهُ قد استدعي من بلاد الهند اثنين من اشهر صانعي النيلة الهندي وزرعها على سبيل التجربة فنجحت نجاحًا تامًا ولكنهُ لم يمكنهُ الزمن من اتمام آمالهِ وصادفهُ على اثر ذلك ما صادفهُ من الاضطرابات المالية التي انتهت بافراغ مسند الخديوية من عهدتهِ ورحيلهِ عن البلاد الى آخر ما هو معلوم من تاريخهِ الاخير· ولم تزل النهضة الزراعية تنمو وثروة البلاد تزداد على نسبة نمو تلك النهضة تدريجًا حتى وصلت الى درجة تغبط نفسها عليها وتغبطها عليها بقية الامم

ابتدأ المرحوم محمد علي بتحسين وسائط الري الذي هو سر نجاح الزراعة وبأمرهِ انشئت في سنة ١٢٢٥ ترعة السماعنة — وفي سنة ١٢٣٠ ترعة المنصورية — وفي سنة ١٢٣٨ ترعة المحمودية الشهيرة — وفي سنة ١٢٤٠ ترعة ام الريش — وفي سنة ١٢٤٢ ترعة البولاقية القبلية — وترعة الباسوسية — وترعة الوادي — وفي سنة ١٢٤٣ ترعة المسلمية — وبحر مشتول — وترعة بردين — وترعة ام سلمى — وفي سنة ١٢٤٤ ترعة الابعادية — وفي سنة ١٢٤٨ ترعة الصادي — وترعة الساحل — وترعة برطباط — وفي سنة ١٢٥١ ترعة قلوصنا — وفي سنة ١٢٥٢ ترعة البولاقية البحرية — وترعة اطسا — وفي سنة ١٢٥٤ ترعة كفور الصدلية — وترعة الجندية — وفي سنة ١٢٥٥ اقيم البناء العظيم في عرض النيل عند المناشي وهو المعروف بالقناطر الخيرية — وترعة الفشت — وترعة الهادي — وفي سنة ١٢٥٧ ترعة دماريس — وترعة ابو حسيبه — وترعة سفاي — وفي سنة ١٢٥٩ ترعة نفا — وترعة ام عليلة — وفي سنة ١٢٦٣ ترعة الزاوية· ذلك كلهُ تم في عصر محمد علي فضلاً عن اصلاح جسر الفرعونية — وجسر قشيشه — والترعة السوهاجية — وتعديل جملة ترع من ري شتوي الى ري صيفي مستديم مثل ترعة الباجورية — والسرساوية — وسبطاس — وجنابية الفرشية — وترعة السعرانه — وترعة الخضيرات

وفي عصر المرحوم سعيد باشا انشئت الترعة السعيدية باقليم الشرقية — وترعة الفلفيلة

وفي عصر اسماعيل باشا انشئت الترعة الاسماعيلية في اثناء حفر برزخ السويس — والترعة الابراهيمية ينبوع سعادة الاقاليم الوسطى — وترعة سواده — والترعة الديروطية

وفي عصر المرحوم توفيق باشا انشئت وابورات الخطاطبة لتوسيع ري البحيرة — والترعة النوبارية

وفي عصر مولانا العباس حفظهُ الله انشئ البناء العظيم جدًا في عرض النيل قبالة قصر انس الوجود بالقرب من اصوان — والقناطر التي اقيمت في عرض النيل ايضًا قبالة

اسيوط · وارتفاع خزان اصوان مائة متر وستة امتار عن سطح البحر المتوسط وكان اصل التصميم على بنائهِ ان يكون بارتفاع ١١٤ متراً عن سطح البحر المتوسط. وبلغت تكاليف الخزان والقناطر اربعة ملايين وثمانمائة الف جنيه مصري تدفع في اثناء ثلاثين سنة اقساطاً نصف سنوية آخرها في اول يناير سنة ١٩٣٣ والغرض من ذلك هو حجز المياه خلف البناء في زمن فيضان النيل للانتفاع بها في زمن الصيف · ويقدرون ما يحجز الآن من المياه هناك بالف وخمسة وستين مليوناً من الامتار المكعبة وبناءً على ثبوت الفوائد العميمة من بناء هذا الخزان قررت الحكومة اعلاء بنائهِ وربما بلغ ارتفاعهُ ١١٢ متراً عن سطح البحر المالح لتبلغ بذلك كمية المياه الممكن حجزها وراءهُ على الاقل الفي مليون من الامتار المربعة وسيبقى هذا البناء اثراً خالداً لهذا العصر السعيد ولا بدع اذا عدَّ في جملة عجائب الدنيا لما اشتمل عليهِ من دقة الهندسة وضخامة البناء وجمال المنظر — ويقام الآن بناءٌ ثالث قبالة اسنا وانشئ عدد كبير من الترع والجسور والمصارف والمباني التي انشئت لتحويل ري الحيضان العمومية الى ري صيفي مستديم من بداءة حدود ديروط بمديرية اسيوط لغاية رياح البحيرة آخر حدود مديريَّة الجيزة · هذا فضلاً عما انشئ لاحياء الكثير من الارض الموات مثل ترعة وهبي — وترعة واصف — بالفيوم — ومصرف خيري في البحيرة — ومصرف الطحاوي — ومصرف صان الحجر في الشرقية — ومصرف صفط القطايع في الدقهلية وغير ذلك من الاعمال الفخيمة النافعة التي كانت سبباً في صلاح الاراضي وعمارتها وثروة البلاد

ويحسن بنا بعد ان ذكرنا مسألة تحويل ارض الكثير من الحيضان من ري شتوي الى ري صيفي مستديم بالاقاليم الوسطى — ان نأتي على توضيح ماهية تلك الحيضان والذي دخل والذي لم يدخل منها في الاصلاحات الحديثة التي ذكرت

الحيضان التي نشير اليها ليست هي التي كانت تعرف في ماضي الزمن باسم قبالات (مفردها قبالة) وهي الاقسام التي تقسم اليها اطيان كل بلد · بل كل حوض من الحيضان المذكورة هو منطقة فسيحة من الارض اقيمت حولها جسور سميكة بحيث صيرتها في شكل حوض او في شكل طاجن فيرسل اليها الماء وقت فيضان النيل من فتحة او عدة فتحات بالبناء في الجهة العليا حتى يمتلئ الحوض وتعلو المياه على ارضهِ كلها وتمكث المياه على الارض نحو شهرين بين اغسطس واكتوبر ثم تنصرف عنها من فتحة او عدة فتحات ايضاً بالجهة السفلى اما الى الحوض الذي دونهُ او الى النيل او الى البحر اليوسفي · وتوجد في دائرة كل حوض عدة بلاد وعزب وكفور بحيث في زمن غمر الارض بالمياه يتعذر الوصول من بلد الى آخر

الأ بالمراكب . وبينما يبتدئ وجه الارض ينكشف من الماء تأخذ الناس في زرع الارض اصناف حبوب شتوية على طريقتين احداهما تسمى لوقاً . والثانية تسمى حراتاً . فاللوق هو ان يبذر الحب في الارض على قدر ما دل الاختبار على كفاءة الارض لانمائهِ من كل صنف وفي الوقت ذاتهِ تغطى الحبوب بواسطة قلب الطين عليها قبل ان يجف وذلك بواسطة ملوقة هي عبارة عن عود من الخشب متصلة بهِ قطعة من لوح خشب فيمسك بهِ رجل ويدفعهُ الى الامام جاعلاً قطعة اللوح مكينة الى الارض فتأخذ في سيرها طبقة خفيفة من الطين وتطرحها في طريق الرجل الى الامام فيتغطى بها الحب ويصير في جوف الارض فينمو الى ان يستوي ولا يحتاج الى شيء من الماء او الخدمة بالكلية غير الحصاد عند نضج الزرع . اما الحراث فهو ان تترك الارض حتى تجف نوعاً ثم تبذر الحبوب عليها وتحرث وبعد ان ينبت النبات تعزق ثم يترك الزرع الى ان يستوي بلا خدمة ولا سقية . وبناء على ما تقدم بيانهُ فالحيضان لا تأتيها المياه الاَّ مرة واحدة في السنة كما انها لا تزرع الاَّ زرعة واحدة

كان يوجد ببلاد الصعيد والاقاليم الوسطى مائة وثمانية عشر حوضاً من هذه الحيضان تشتمل على مليون ونصف مليون فدان نذكر اسماء اشهرها واكبرها مقداراً وهي . حوض اصفون ووادي الجن عشرة آلاف فدان . وحوض فاو وابو مناع ثلاثة وعشرون الف فدان . وحوض هوّ تسعة عشر الف فدان . وحوض الشغب . وحوض المعلا . وحوض سمهود وحوض العشي كل منها ثلاثة عشر الف فدان . وحوض القصر والصياد اثنا عشر الف فدان . هذه الحيضان كلها بمديريتي قنا واصوان . وفي مديرية جرجا حوض العرابة والعسيرات ثلاثة وثلاثون الف فدان . وحوض سوهاج ثلاثون الف فدان . وحوض ظما ثمانية وعشرون الف فدان . وحوض كوم بدار ٢٧٠٠٠ . وحوض السمارنة ٢٥٠٠٠ . وحوض برديس ٢٤٠٠٠ . وحوض بني عمارة ٢٠٠٠٠ . وفي مديرية اسيوط حوض بني سميع ٤٠٠٠٠ . وحوض الزنار ٤٥٠٠٠ . وحوض بني حسين ٢١٠٠٠ . وحوض بني كلب ٢٥٠٠٠ . وحوض المحرق ٢١٠٠٠ . وحوض بني رافع ١٥٠٠٠ . وحوض الدجاوي ٢٤٠٠٠ . فهذه الحيضان وغيرها مما لم نذكرهُ كلها باقية على ترتيبها الاصلي لا تزرع الاَّ زرعة واحدة شتوية . اما الحيضان التي كانت موجودة من ابتداء ديروط بمديرية اسيوط لغاية رياح البحيرة ومقدارها ٤٥٦٠٠٠ فكلها تحولت الى ري صيفي ومزارع صيفية حتى لم يبقَ في هذه المنطقة من حيضان الشتوي الاَّ ما هو كائن غرب البحر اليوسفي في امتداد مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف وما هو كائن شرق النيل في امتداد

تلك المديريات الثلاثة . وقد بلغت تكاليف تحويل الحياض المذكورة الى ري صيفي مستديم مليونين ومئة الف جنيه مصري نذكر منها حوض الطهنشاوي ٥٤٠٠٠ فدان — والطحاوي ١١٠٠٠ — والمنبالي ١٢٠٠٠ — والسمالوطي والبردنوهي كل منهما ١٠٠٠٠ — والجرنوسي ٦٣٠٠٠ — والسلافوني ٢٥٠٠٠ — والبرقي وبني صالح وكوم الصعايدة ٢٥٠٠٠ — والسمسطات ٣٦٠٠٠ — وقنا واهناسية ٣٧٠٠٠ — وكل من بهبشين والرقه ٢٦٠٠٠ — وقشيشه ٤٥٠٠٠ — والمعرقب — وطها — ودهشور — وصقارة — وشبرامنت — ومنشاة البكاري ٧٥٠ — وحوض الجسر الاسود ٥١٠٠٠ — هذه كلها اصبحت مزارع صيفية تدرّ الخير والبركات على البلاد .

ومما لا ريب فيهِ انهُ لم يتجشم احد من مصاعب العسر والفقر والشدايد بقدر ما المَّ باهالي بلاد شرق النيل وذلك لعلو منسوب ارض بلادهم عن درجة فيضان النيل المتوسطة او الاعتيادية فيقصر فيضان النيل عن ريها ولا قدرة لهم على ريها بالآلات فيبقى معظمها شراقي ولا ينالهم شيءٌ اكثر من رفع الضريبة وينذر ارتفاع النيل بدرجة كافية لري تلك الاراضي ولذلك فهي في اكثر السنين قفراء جرداء نذكر منها منطقة زرنيخ والكلابات بمديرية قنا والدير والقصير والشيخ عباده بمديرية اسيوط — والشيخ نمى بمديرية المنيا — وبياض بمديرية بني سويف — وبلاد شرق اطفيح في مديرية الجيزة من ابتداء دير الميمون عند اشمنت لغاية اثر النبي عند مصر العتيقة . فالحكومة اذ رأَت نفسها قادرة على الاصلاح ابتدأَت بهِ في بلاد شرق اطفيح وقررت بناء طلمبات عند ناحية الكريمات لانتشال المياه من النيل واطلاقها في طول هذه البلاد وعرضها لري اراضيها ريًّا صيفيًّا مستديمًا وهي منحة لم يكن يحلم بها اهل تلك الاصقاع التي في القريب العاجل تصبح من اعمر البلاد واغناها لان قربها من عاصمة البلاد وسهولة المواصلات معها مما يساعد على سرعة تحسينها وفعلاً ظهرت تباشير النجاح هناك فالفدان الذي لم يكن يباع باكثر من احاد الجنيهات اصبح يباع بمئة جنيه وبمئة وعشرين . والامل كثير في ان يستمر التفات الحكومة لاصلاح بقية بلاد شرق النيل وزيادة تحسين احوال البلاد الواسعة غرب البحر اليوسفي

ستأْتي البقية

باب المراسلة والمناظرة

الشفاء الغريب

سيديّ الفاضلين

” ان في السماء والارض اموراً اكثر مما تحلم بهِ فلسفتنا “ . امامي الآن امر من هذه الامور حدث منذ ثمانٍ وعشرين سنة حادث يدخل تحت الشفاء الغريب واذ كنت اظنهُ من الامور التي تساعد على ايضاح هذا الغامض وتوجه الخواطر الى القوة الالهية فيهِ اردت ان ابعث بتفصيلهِ الى مجلتكم الغراء راجياً ان تبدي رأيها فيهِ . وها كم تفصيلهُ كما جاء في علاوة لعدد ١٥٨ من لسان الحال في غرة ايار (مايو) شرقي سنة ١٨٧٩ : — وهو

انهُ في اوائل شهر نيسان شرقي سنة تسع وسبعين وثمانماية والف للميلاد قد كثر الخبر عن شفاء رجل يدعى شاهين بن كنعان البردويل من الشويفات التابعة لقضاء الشوف من متصرفية جبل لبنان بامر الهي معجب بعد ان كان قد أُصيب باسقام وعاهات متنوعة من سنين عديدة

فشاهد هذا الرجل سيادة مطران بيروت ولبنان كيريوس غفريل الجزيل الاحترام وبحث وفحص عنهُ وعما جرى لهُ من الابتداء الى يوم تاريخهِ بكل تدقيق واستقصى منهُ ومن غيرهِ لفظاً وخطاً عن امراضهِ واسبابها وعن شفائهِ الغريب حتى ثبت لهُ بالادلة الواضحة والبينات الصادقة كما سيأتي ما يأتي . وهو ان هذا الرجل وُلد في الشويفات من ابوين ارثوذكسيين كنعان بن شبل البردويل من البلدة المذكورة وهيلانة ابنة الخوري سليمان من مدينة بيروت ليلة الثلثاء الثانية والعشرين من شهر كانون الاول ختام سنة الف وثمانماية واحدى وثلاثين مسيحية الموافقة سنة الف ومايتين وست واربعين هجرية كما هو مسطر بخط المرحوم والدهِ وانهُ قد بلغ سن التمييز صحيح الجسم معافًى لكنهُ ثقيل اللسان في التكلم وقد تعلَّم القراءة البسيطة على المرحوم والدهِ ثم صار يشتغل تارةً في معصرة دبس واخرى في غيرها . واذ كان عمرهُ بضع عشرة سنة اعترتهُ عبقة صدر وكان اذا اشتدت عليهِ احتاج الى اخراج الدم مرَّة او اكثر لكي يرتاح منها . وبعد ان أَلمّتهُ العبقة بنحو سنتين تقريباً صودف انهُ نهض من فراشهِ بقصد الخروج من البيت لغرض عرض لهُ

وفي وسط البيت عمود قائم ولا ضوء البتة فلطم رأسهُ بذلك العمود وللحال سقط مغشيًا عليهِ ومن ذلك الوقت اصيب بداء النقطة فصار يطرحهُ على الفراش حينما يعتريهِ مدة عشرة ايام فكان يحصل لهُ غالبًا في فصل الشتاء واخذ يزداد رويدًا رويدًا حتى صار اخيرًا يحصل لهُ كل يوم تقريبًا وكان قد ارسلهُ والدهُ ليعلمهُ الخياطة وبقي يشتغل بهذه الصنعة مدة ثم تركها واخذ يتعاطى ما يتيسر لهُ من الاشغال حسب طاقتهِ الى نهار الاثنين الواقع ثاني الفصح المجيد قبل هذا التاريخ بنحو خمس سنين وفي ذلك اليوم رجع من الكنيسة الى بيتهِ وبعد ان تناول الغداء فاجأتهُ نوبة قوية جدًّا فصرخ بصوت جهوري وانطرح على فراشهِ وبقي لا يستطيع حراكاً الى يوم الثلثاء حتى كاد الامل في حياتهِ ينقطع ثم قام آخذتهُ رعشة في رأسهِ وكتفهِ اليمنى ثم بعد ذلك جاءتهُ نوبة أُخرى قويَّة فقام اعمى لا ينظر شيئًا وهكذا جاءتهُ أُخرى فقام وجنبهُ الايمن مفلوج يابس ثم أُخرى فقام محدوب الظهر حتى صار رأسهُ لا يعلو عن الارض اكثر من ذراع واحدة واخذ يتوكأ على عصا طولها عشرون قيراطًا تقريبًا وقد شوهدت من كثيرين ثم بعد تلك النوبات جاءتهُ نوبة أُخرى يبَّست يدهُ اليمنى فانقبضت اصابعها ولم يعد يمكن انبساطها البتة وكانت النوبات تأتيهِ مختلفة فتارةً قوية واقوى وطورًا خفيفة فالقوية كانت تفوتهُ مدة شهر تقريبًا ومتى جاءتهُ تستمر عليهِ نحو عشرين ساعة ويبقى بانزعاج كلي وكان يشعر اولاً بان حبلاً زنّر وسطهُ واحيانًا يصير كالمجنون يضرب يمزق ثيابًا ويكسر آنية البيت ثم يرتمي على الارض ويدور كالرحى مغشيًا عليهِ مفتوح العينين مختبط الاعضاء اختباطًا رائعًا فيصير ذا منظر هائل ثم يعقب ذلك تشنج قوي وسكون فيصير كانهُ قطعة خشب متمكنة من طرفيها في الارض ومرتفعة الوسط شبه قوس وبعد انصراف النوبة عنهُ يستفيق اخرس اطرش ويبقى على هذه الحال نحو عشرة ايام ثم بالتدريج ينحل رباط لسانهِ ويرجع يتكلم بصعوبة كالسابق ويسمع واما الخفيفة فكانت تأتيهِ باكثر اتصال وتستمر نحو ربع ساعة صيفًا وشتاءً

وكان هذا الرجل يتلقى جميع هذه الاوصاب والآلام بالصبر الجميل والشكر الجزيل. وقد استدعي لهُ في اثناء هذه المدة الطويلة من مشاهير الاطباء جناب الدكتور بركستك الانكليزي وجناب الدكتور بوست الاميركاني وجناب الدكتور سليم افندي عطيه اللبناني وجناب الدكتور الامير رشيد شهاب وجميعهم عالجوهُ ولم يحصل على ادنى افادة البتة. وبقي على حالة يرثى لها الى احدى ليالي السنة الحاضرة (١٨٧٩) حين انزل شاهين المذكور الى قبو اسفل الحارة

وفي ليلة السبت الواقع ثالث شباط من السنة الحاضرة (١٨٧٩) صلَّى حسب عادتهِ وغلق الباب ورقد براحة لم يشعر بمثلها من مدة السنين الخمس وبينما هو نائم سمع صوتاً حنوناً جداً يهتف نحوهُ ” يا ايها الغافل قم واجلس على فراشك “ مكرراً عليهِ القول فرأى انهُ قام من نومهِ مرعوباً ولما تكرر الصوت ” قم لا تخف “ سألهُ من انت اخي اجابهُ ” اخوك قم لا تخف فبما انك صبرت على احكام الرب قد ارسلت لاعلمك بدواء علتك التي لا يعلم جميع البشر الذين تحت السماء دواءها حتى ولا حكمة الحكماء بل انا وحدي فاصغَ لما اقولهُ لك “ حينئذٍ رأى انهُ انتبه وصحا عقلهُ واتجه نحو الصوت فقال لهُ ” ارسل فاضيء قنديل الكنيسة المقدسة الى الصباح وخذ ما يبقى من زيتهِ واستحضر جوزة الهند وفولاً اسود ومرارة خنزير وصمورة البحر واطبخ هذه الاشياء معاً على النار واجعلها مرهماً وادهن بها يدك اليمنى وجنبك وسلسلة ظهرك وجميع مفاصلك “ . فرأى ايضاً ان اصبعين من لحم ودم لمستا صدغيهِ وسمع ” ادهن ههنا ايضاً وفي مدة سبعة اسابيع تأكل خبزاً فقط وتمامها نهار الخمسين تستحم بماء مغلي مع ورقي الصفصاف والكباد وعشبة الملعى وتكون مداواتك هذه خارج بيتك في محل منفرد حيث تكون بعيداً عن الهم والغم فتشفى من علتك وتبصر ونهار الحادي والخمسين تنزل الى البحر وتغتسل كل يوم مرة لتمام التسعين يوماً “ . وكان الهاتف بعد كل عبارة يسألهُ ” فهمت “ فيجيبهُ نعم وقال لهُ ايضاً ” يجب ان تعمل حسبما اوصيتك والاَّ يضرب جنبك الشمال مثل اليمين وتكون ملقى على ظهرك لا تقدر ان تجلس البتة “ . فشاهين المذكور اختشاءً من النسيان رأى انهُ مدَّ يدهُ بلهفة ليمسكهُ فلمس جسماً من لحم ودم وطلب اليهِ قائلاً اصبر قليلاً واعطني لاكتب ما قلتهُ لانني لا اقدر ان اتذكر جميع اقوالك اجابهُ ” لا تخف فاني معطيك عقلاً وفكراً حتى لا تنسى شيئاً ومتى استعملت هذه تشفى من جميع امراضك وتتعاطى اشغالك وتفي نذورك للرب الهك وتموت بغير علتك هذه “ وانصرف عنهُ

فقام شاهين مرتعداً وزحف نحو الباب فوجدهُ مغلقاً والحجر الذي كان وضعهُ وراءهُ لم يزل في مكانهِ فدحرجهُ وفتح الباب وتبع الطريق صاعداً الى حيث كان شقيقهُ وامرأة شقيقهِ مع اولادهما نائمين وقرع الباب عليهم فاستيقظوا وفتحوا فوجدوهُ مطروحاً على الارض مغشياً عليهِ فادخلوهُ واضجعوهُ على فراش واخذا ينبهانهِ ليعلما منهُ ما سبب ذلك وبعد الجهد اشار اليهما بيدهِ اليسرى ليمهلاهُ ولما رجع الى نفسهِ سألهما من نزل منكما اليَّ اجاباهُ لا احد فابتدأ يتكلم بصعوبة ويبكي ويقول سمعت صوتاً حنوناً حنوناً وقصَّ عليهما رؤياهُ وما سمعهُ من الهاتف كما تحرر آنفاً ومن ذلك الوقت ابتدأ يتطلب ان تعدَّ لهُ الاشياء التي ذكرت

واما اهلهُ فكانوا يحاوبونهُ تارةً بقولهم لهُ ايام مرافع وانت تصوم وهو يجيبهم انا مرادي الشفا لا اكل اللحم وخلافهُ وتارة ان هذا منام فربما لا تشفى فيهزأ بنا الناس وهو يقول هذا ام الله لا بد من ان اتممهُ وافعل ما انذرت بهِ ولا ابالي بما يقول الناس وبعد الجهد تمموا لهُ رغبتهُ

ويوم الاثنين ١٢ شباط ابتداء الصوم المبارك اخذ يباشر بالتدقيق عمل ما اوصي بهِ فنقل الى محل منفرد وجعلت عمتهُ تدهنهُ كل يوم مرة ويوم الخميس اذ كان قد تناول بيدهِ اليسرى كأس ماء وهو يشرب امتدت يدهُ اليمنى بغتة وانبسطت كفهُ من دون ان يحس فقال لهُ ابن عمتهِ يا ابن خالي انفتحت يدك فترك الكاس وشبك يد بيد فتحقق وشكر الرب

وفي الاسبوع الثاني ليلة السبت وهو نائم اذ سمع صوتاً يقول لهُ "يا ايها الانسان قم لا تخف قد شفي جنبك" فانتبه حالاً وشعر بان جنبهُ يتمّل مخدرًا من القدم الى العنق فبات قلقاً الى الصباح فنهض واذا جنبهُ اليابس من نحو سنة ونصف عاد صحيحاً كأنهُ لم يمرض اصلاً فكرر الشكر للرب

وفي الاسبوع الثالث لم يرَ شيئاً واما التدهين فبقي مستمرًّا

وفي الاسبوع الرابع نهار الخميس اعترى ظهرهُ وجع مؤلم جدًّا واستمر لليلة السبت وفيما هو غافل تلك الليلة سمع صوتاً يقول لهُ "قم لا تخف قد شفي ظهرك" ورأى ان شخصاً مرَّ من فوقهِ ثلاث مرات وجلس الى جانبهِ فاشتد عليهِ الأَلم حتى ظن ان فقرات ظهرهِ تفككت فاستفاق للحين ونهض منتصباً معافى فمجد الله

واما الاسبوع الخامس فكان كالثالث

وفي الاسبوع السادس استحوذ على جسمهِ عدا رأسهُ وجع اليم والتهب بالحرارة وتواترت عليهِ النوبات وفي يومي الخميس والجمعة ازدادت بكثرة لا مزيد عليها واستمر على هذا الحال الى انتصاف ليلة السبت ٢٤ آذار شرقي فاتاهُ النوم بغتة ولم يلبث الاَّ قليلاً حتى سمع صوتاً يقول "يا ايها الانسان قم لا تخف فقد دخلتك القوة وردَّت العافية الى بدنك" فناداهُ شاهين متوسلاً اليهِ عينيَّ عينيَّ فقال لهُ "لا تخف فان عينيك تشفيان ليلة الخمسين" وانصرف عنهُ فاستيقظ مرتجفاً ثم احس ببرد فنام ونهض صباحاً بكل راحة كأن لم يعترِ بدنهُ مرض البتة

وفي الاسبوع السابع ابتدأ وجع في رأسهِ والتهاب شديد من يوم الاربعاء ٢٨ اذار واستمر الى ليلة الاثنين ثاني الفصح الواقع ثاني يوم من شهر نيسان شرقي وهو اليوم المتم الخمسين في نصف الليل تقريباً اتاهُ ذلك الصوت كالعادة وقال لهُ "يا ايها الانسان قم

لا تخف انا ميخائيل ارسلت لابشرك بصحتك واعلمك بانهُ من الآن وصاعدًا لا تدعى بالاسم الذي انت مسمى بهِ بل فليدعَ اسمك ميخائيل وكل من لا يدعوك ميخائيل يكون ملعونًا ولا تعلُ موسى رأسك ولا تقص شعرك نذرًا لله وتبذل جهدك وتبني ديرًا على اسم الاله المخلص الذي افتقدك وشفاك وتكون مدبرًا ومبشرًا باسم الرب الهك لا كاهنًا ولا راهبًا وها النور قد دخل عينيك ابصر وانا استودعك الله العلي العظيم". فانتبه حالاً وابصر ومجّد الله

ويوم الثلثاء ثالث الفصح نزل الى شاطئ البحر ونزل معهُ جمهور غفير وليلة الاربعاء رابع نيسان اتاه الملاك وقال له "يا ايها الانسان لا تغسل كل جسدك بالماء بل الاعضاء التي كنت تدهنها سابقًا وبما انهُ صار لك ثلاثة ايام وانت صائم يجب ان تأكل وقد سمح لك بالبيض والجبن وسيأتي اليك الناس من كل جهة ويسألونك عن محل الدير الشريف وانت لا تقدر ان تخبرهم فانا اعلمك بذلك ان الدير يكون فوق قريتك على الظهر حيث كان هناك قديمًا دير باسم سمعان فهناك يكون واقم هنا علاوة على الاربعين يومًا عشرة ايام اخرى بدون اغتسال ويوم الخمسين (وهو احد العنصرة) اطلع الى الكنيسة المقدسة لابسًا ثوبًا اسود واسمع القداس الالهي وفيما بعد تتعاطى اشغالك" وانصرف عنهُ الملاك انتهى

وميخائيل هذا فعل كما امرهُ الرب ولم يعاودهُ المرض بل كان يقرأ فروضهُ الدينية بدون عوينات الى آخر سني غربتهِ على هذه الارض التي انتهت في اوائل السنة الماضية

المدرسة الكلية بردويل

[المقتطف] اننا نتذكر حوادث هذه القصَّة فانها لما حدثت كنا في مدينة بيروت وكلفنا احد اصدقائنا وكان مدرسًا في مدرسة الشويفات فبحث عنها بالتدقيق وكتب لنا تقريرًا مسهبًا لا يخرج في معناهُ عمَّا نشرهُ لسان الحال حينئذٍ ونُقل الينا الآن. فعلمنا ان الحادثة من قبيل الهستيريا وان الشفاء حدث بما يُسمَّى بالاستهواء الذاتي لكننا لم نستحسن المجاهرة بذلك لشدة ثورة الافكار حينئذٍ فان المرضى كانوا يقصدون ذلك الرجل من دمشق وحلب للاستشفاء فاكتفينا بالاشارة اليهِ في الصفحة الاخيرة من الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث من المقتطف الصادر في شهر ايار (مايو) سنة ١٨٧٩ تحت عنوان الطب الجديد حيث قلنا ما نصهُ "ولولا ضيق المقام وخوفنا ان يحسبنا البعض نتصدى للاعتقادات الدينيَّة التي ليست من بحثنا لكشفنا القناع عما هو جارٍ الآن في نواحينا وخبرهُ يتاظم يومًا فيومًا. فصبرًا الآن فسوف يكشفهُ الزمان"

ولو توفي ذلك الرجل بعد شفائهِ وقبل ان يفشل في استنباط الماء للدير الذي اراد بناءهُ لعدَّ الآن من كبار القديسين ولكنت ترى الناس يزورون قبرهُ من كل الاقطار. ولو نجح في استنباط الماء واراد ان ينشئ مذهبًا جديدًا او ديانة جديدة لسهل عليهِ ذلك لشدة اعتقاد الناس بهِ حينئذٍ حتى انهم كانوا يكذبون ويصدقون كذبهم في سبيلهِ. جاءنا واحد مرة من اكثرهم علمًا واوسعهم اطلاعًا وذاكرنا في امر "قديس الشويفات" كما كان يلقب حينئذٍ ولما رأى منا الريب في امرهِ قال لنا ان عندي في المدرسة ولدًا افدع القدمين وقد بذل الدكتور بوست جهدهُ ليصلح قدميهِ فلم تصطلحا فذهب ابوهُ بهِ الى قديس الشويفات فمد يدهُ على قدميهِ فشفيتا وها هو الآن يمشي عندي في المدرسة سليمًا. فقلنا لهُ نحن نصدقك ان الولد كان افدع فأتنا بهِ لنراهُ بعد ان شفي. فوعدنا باحضارهِ في الاحد التالي وجاءنا يوم الاحد ولم يأتِ بهِ معهُ ثم مضى احدان ولم يأتِ وجاءنا بعد ذلك وحدهُ فقلنا لهُ اين الولد. وكانت الثقة بالقديس قد تزعزعت فاعترف لنا حينئذٍ ان الولد لم يزل افدع كما كان وانهُ هو لم يرَ انهُ شفي ولكن بلغهُ انهُ شفي فصدق الخبر ونقلهُ الينا

وبلغتنا حينئذٍ حوادث كثيرة من هذا القبيل ففسرت لنا كيف نشأَت بعض المذاهب والمعتقدات او كيف تولَّدت حولها الاوهام والخرافات. هذا وقد كنا نعتقد ولا نزال نعتقد ان الرجل مخلص في ما قال معتقد صحتهُ ولو كان برهميًا لاعتقد ان برهما نفسهُ تجلَّى لهُ وكلمهُ بلغة الهنود لا بالعربيَّة وذكر لهُ عبارات من كتب البراهمة الدينية. ولو كان صينيًا بوذيًّا لاعتقد ان بوذه ظهر لهُ وكلمهُ باللغة الصينيَّة وهلمَّ جرًّا. والكلام كلهُ داخلي لا خارجي منتزع من الصور العقلية المطبوعة في ذهنهِ وقد اثر فيهِ تأثير افعال الاطباء في حوادث الهستيريا المختلفة

الشفاء الغريب

حضرة صاحبي المقتطف الفاضلين

قرأْت ما كتبهُ حضرة الاستاذ الفاضل الدكتور ورتبات عن الامرأَتين اللتين كانتا مصابتين بمرض هستيري ظهر في احداهما بمظهر الفالج وفي الاخرى بمظهر التيبس وكيف شفاهما بانهُ اقنعهما ان لا مرض فيهما. وقد شاهدت حادثة من هذا القبيل ووقع لي حادثة اخرى مثلها فجئت اشرحهما بالايجاز وتأييدًا لما قالهُ حضرتهُ

الحادثة الاولى امرأَة اصيبت بتيبُّس في يديها كلتيهما فلم تعد تستطيع بسطهما ولا قدر احد على بسطهما لها مهما استعمل من القوة وكنت حينئذٍ ادرس الطب في مدرسة ليون

فاحتال طبيب المستشفى على شفائها بهذه الواسطة وهو انهُ دهن يديها بدهنون فيهِ شيء قليل من الفصفور وقال لها ان هذا الدواء مكتشف حديثاً وهو يشفيها من غير شك مدة الليل التالي وعليها ان تنتبه الى يديها حتى تحركهما حالما يفعل الدواء بهما فلما اظلم الليل التفتت الى يديها فوجدتهما تنيران بدهان الفصفور فاعتقدت ان ذلك من فعل الدواء وحركتهما فتحركتا وعادتا الى اصلهما وجعلت تلوم الطبيب في الصباح لانهُ لم يستعمل لها هذا الدواء من قبل

والحادثة الثانية ان رجلاً اتاني ذات يوم وطلب مني ان اذهب الى بيتهِ لعيادة امرأتهِ فسألتهُ عما تشكو منهُ ومن اي وقت فقال ان لها ثلاثة ايام طريحة الفراش لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تبدي حراكاً البتة . فلمتهُ حينئذٍ لعاقتهِ عن استشارة الطبيب ولاهمالهِ بتركها ثلاثة ايام في هذه الحالة فجاوبني انهُ اراد ان يأتيها بطبيب حالاً ولكن النساء من الاهل والاقارب منعنهُ عن ذلك لتأكيدهنَّ ان مرض امرأتهِ من عفريت دخلها وان كل الحكماء لا يعرفون ان يخرجوا العفاريت لان ليس لهم سلطة عليها . فذهبت حينئذٍ معهُ الى بيتهِ وهو في احد مدافن البلد لان الرجل حارس لذلك المدفن . فوجدت امرأة لها من العمر ٢٥ سنة تقريباً نائمة على فراش شاخصة العينين متشنجة الاعضاء لا تبدي ادنى حراك ولا تتكلم ولكنْ يظهر عليها انها مصغية الى شيء وكان حولها ثماني نساء يتحسرنَ عليها ويندبن حظها ويدعين لها بطلوع العفريب منها فللحال اخرجتهنَّ وفحصت المريضة بتدقيق فلم اقف على علة ما او ادنى خلل لا في دماغها ولا في الحبل الشوكي ولا في جهة عضو من اعضائها . فثبت لي ان كل هذه الاعراض هستيرية فانتهرت المريضة بصوت عالٍ وحاولت ان اقيمها او اغذيها ولكن بدون فائدة وافتكرت ايضاً ان العلاج بالاستهواء لا يجدي نفعاً في الاحوال التي هي فيها وحولها هؤُلاء النساء فكلمت زوجها بصوت عالٍ ليأتيني بها الى بيتي حيث اخرج العفريت منها حالاً

فاحضرها محمولة فادخلتها مكتبتي وكنت قد أظلمتها ووضعت آلة كهربائية تحت المقعد الذي اجلستها عليهِ واوصلت سلكيها برجليها وقلت ان العفريت سيطلع منها فيرتجف كل بدنها وبعد دقيقة اوصلت المجرى الكربائي فصرخت طالبة من زوجها ان يعينها وخرجت من الغرفة مذعورة واقفلت الباب ومسكت بزوجها والزمتهُ ان يترك بيتي حالاً لان العفريت طلع منها وهو الآن في البيت وتخاف ان يدخلها ثانية او يدخل زوجها وعادت الى بيتها ماشية متكلمة واكلت وشربت ونامت على جاري عادتها السابقة والى الآن لم يزرها العفريت ثانية

الدكتور اسعد حبيقه

ترجمة مصطفى باشا كامل

حضرة المحترمين اصحاب المقتطف

نرجو اجابة طلب المقترح بجريدة المؤيد وهو ان تنشروا في المقتطف صورة فقيد الوطن المأسوف عليهِ مصطفى باشا كامل وترجمة حياتهِ ولحضرتكم الشكر

عبد القوي احمد معبد
ابو كساه

[المقتطف] لقد اسفنا مع الآسفين على وفاة الفقيد رحمهُ الله لكن يتعذَّر علينا ان نكتب ترجمتهُ لان كاتب هذه السطور لا يعرفهُ ولم يتكلم معهُ الاَّ مرتين فقط وفي كل مرة بضع كلمات ولا يتذكر انهُ قرأ مقالةً كاملة من مقالاتهِ · اما اعمالهُ التي عملها فلا نجهلها كما لا يجهلها احد ولقد قال فيها حضرة صاحب المؤيد ان جوهرها الذي حمل المصريين على اكرامهِ والخروج في جنازتهِ على النحو الذي خرجوا فيهِ انما هو ان الفقيد " كان لا يفتأ يعلن عن بغضهِ للاحتلال الانكليزي وينادي بهِ على رؤُوس الاشهاد ويقول ان لسياسة المغاضبة قوَّة لا تقلُّ عن قوة السلاح في مقاتلة الاقوياء "

وصاحب المؤيد من اعرف الناس بالفقيد وبالخطة التي كان جاريًا عليها كما انهُ من امدح الناس لهُ الآن وابكاهم عليهِ فان كان ما ذكرهُ هو السبب الصحيح لهذه " المظاهرة العظمى " وقد حملت جثة الفقيد لانها " كانت تضمُّ ذلك القلب الكبير الكاره للاحتلال اعظم كره " كما قال صاحب المؤيد وانتجت سياسة المغاضبة ما لا ينتجهُ السلاح في مقاتلة الاقوياء فافضت الى الجلاء فيكون الفقيد قد اهتدى الى اسهل الوسائل لاخراج المحتلين من هذا القطر ولكنها اذا لم تنتج ذلك بل انتجت ازدياد النفرة وتقوُّض اركان الامن حتى تضطرّ انكلترا اخيرًا ان تشهر حمايتها على هذا القطر فتكون سياستهُ قد ادَّت الى ضد ما قصد

وفي رأينا اننا نحن الشرقيين عندنا من المغاضبة والبغضاء شيءٌ كثير بل عندنا منهما ما لا حاجة بنا اليهِ ولا فائدة لنا منهُ وانما يعوزنا امر آخر يحرزهُ لنا العلم ولقد كان المرحوم الشيخ محمد عبده يرمي اليهِ في سيرتهِ وتعاليمهِ وهو ان نكرم انفسنا فنسلم من احتقار الغير لنا ومن اعتدائهِ على حقوقنا · ويعوزنا ايضًا ان نتذكر قول شاعرنا الحكيم القائل

ومن يخاصم كل من لا يقوى   لحربهِ جرَّ عليهِ البلوى

هذا وان خير تذكار للمرء ما تنال بلادهُ منهُ من النفع فهو الذي يبقى وكل ما سواهُ ظلٌّ زائل وعسى ان تكون نتيجة اعمال الفقيد كلها النفع لبلادهِ عاجلاً او آجلاً

الحياة في المريخ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبهُ حضرة الاستاذ منصور جرداق عن ان المريخ مأهول بخلائق حية عاقلة ارقى من الانسان عقلاً واكمل ادراكاً . وقال ان هذا هو رأي الاستاذ لول ومن لفَّ لفهُ . ويظهر لي ان الاستاذ لول متحمّس جدًّا في اثبات وجود السكان في المريخ وان عالمًا آخر يفوقهُ شهرةً كما يفوقهُ سنًّا وخبرةً وهو الدكتور الفرد رسل ولس اقام الادلة على انهُ لا يوجد جرم مأهول او يمكن ان يكون مأهولاً غير الكرة الارضية من كل السيارات التي تدور حول الشمس كما ذكرتم في المقتطف . ولقد صرحتم برأيٍ مثل هذا في المجلد العاشر من المقتطف ولذلك ولأَن الخطوط التي شوهدت على سطح المريخ واستدلَّ منها الاستاذ لول على وجود السكان فيهِ يمكن ان تكون من جملة الحوادث الطبيعيَّة التي لم يبحث احد في تعليها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا لا ارى موجبًا للقول بوجود السكان في المريخ

مصر احد القراء

* * *

باب الرياضيات

الغريبة الجبرية

جاءتنا حلول مختلفة للغريبة الجبرية التي نشرناها في الجزء الماضي فنشرنا منها ثلاثة ليرى المشتغلون بالرياضيات كيف يختلف نظرهم في المسألة الواحدة مع انهُ اذا وجد شيءٌ يجب الاتفاق فيهِ فهو القواعد الرياضية

الحل الاول

اولاً : لا يختل التساوي الواقع بين اي كميتين اذا ضربت كل منهما بكمية واحدة او قسمت على كمية واحدة

ثانياً : لا يختل التساوي الواقع بين اي كميتين اذا اضيف الى كل منهما او طرح من كل منهما كمية واحدة

اذا علم ذلك فلا يجوز اخذ جذر الكميتين اللتين كل منهما ذات حدين بدون رفعهما الى درجة التربيع وتحويل كل كمية منهما الى كمية ذات حد واحد لانهُ اذا اخذ الجذران اولاً فتؤُول المسئلة الى قسمة كلٍ من الطرفين على مقدارين مختلفين اي ان

$(٤-\frac{٩}{٢})^{٢}=(٤-\frac{٩}{٢})(٤-\frac{٩}{٢})$ و $(٥-\frac{٩}{٢})^{٢}=(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})$

ويكون $\frac{(٤-\frac{٩}{٢})(٤-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}=\frac{(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})}{٥-\frac{٩}{٢}}$.

او $-\frac{١}{٢}=+\frac{١}{٢}$ وهذا لا يمكن

اما اذا قسم كل من الطرفين على كمية واحدة فلا يتغير التساوي اي ان

$\frac{(٤-\frac{٩}{٢})(٤-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}=\frac{(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}$ او

$٤-\frac{٩}{٢}=\frac{(٥-\frac{٩}{٢})(٥-\frac{٩}{٢})}{٤-\frac{٩}{٢}}$

او $-\frac{١}{٢}=-\frac{١}{٢}$

او $\frac{١}{٢}=\frac{١}{٢}$ ... اي النصف يساوي النصف

ويمكن تغيير علامة كل من الطرفين بدون ان يختل تساويهما وهذا مستنبط من القاعدة الثانية لان هذه العملية هي عبارة عن تحويل كل من الطرفين محل الاخر

١١ فبراير فواد نسيم

مهندس بالفجالة بمصر

الحل الثاني

اطلعت اليوم على مقتطف شهر فبراير الحالي فوجدت في باب الاخبار العلمية تحت عنوان غريبة جبرية ما ادهشني فان النتيجة بعد اخذ الجذور هي

$(\frac{٩}{٢}-\sqrt{٢٠}^{\,٢})^{٢}=(\frac{٩}{٢}-\sqrt{٢٠}^{\,٢})^{٢}$

اي ٤,٥ = ٤,٥ لا ٤ = ٥ كما ذكرتم

عبد الفتاح البنا

١٢ فبراير خادم العلم بدمياط

الحل الثالث

ان هذه الغريبة الجبرية هي بالاحرى مغالطة جبرية . وذلك لان جذر كمية مربعة يجوز ان يكون ايجابيًّا او سلبيًّا . وعند عدم التأكيد من احدهما نفرض الوجه الواحد فاذا

قادنا الى نتائج مستحيلة فلا شك ان فرضنا اياهُ غلط وان الوجه الآخر هو الصحيح وعليهِ ففي المعادلة التي هي موضوعنا : $(٤ - \frac{٩}{٢})^{٢} = (٥ - \frac{٩}{٢})^{٢}$

اذا فرضنا جذر الضلع الاول ايجابي اي $+ (٤ - \frac{٩}{٢})$ يكون معنا :

$٤ - \frac{٩}{٢} = ٥ - \frac{٩}{٢}$ اي $٤ = ٥$ وهذا مستحيل

فيكون فرضنا للوجه الايجابي غلطاً ويجب ان نفرض الوجه السلبي . اي ان جذر الضلع الاول هو الكمية $- (٤ - \frac{٩}{٢})$ اي $- ٤ + \frac{٩}{٢}$ فيكون معنا :

$- ٤ + \frac{٩}{٢} = ٥ - \frac{٩}{٢}$ اي $- \frac{٨}{٢} + \frac{٩}{٢} = \frac{١٠}{٢} - \frac{٩}{٢}$ اي : $\frac{١}{٢} = \frac{١}{٢}$

وهذا هو الفرض الصحيح روفائيل خوري فرّا

مصر ١٦ فبراير اجزاجي قانوني

* * *

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

انواع الرياضة

اقتصر هنا على ذكر ابسط طرق الرياضة واكبرها نفعاً

المشي . يحرك عدة عضلات في الجسم حركات خفيفة ويجب على من يروض جسمهُ بهِ ان يمشي منتصب القامة مبرزاً صدرهُ الى الامام ولاسيما على الارض المستوية الممهدة وان يسير ابعاداً شاسعة اي بضعة اميال كل يوم والمشاؤون الذين يحسنون المشي قليلون لانهُ يندر وجود الذين تكون عضلات اجسامهم متناسبة في نمائها فاذا كانت الساقان ضعيفتين كان المشي متقلقلاً وان كانت الخاصرتان واهنتين تهادى الماشي وتمايل الى جانبيهِ وان كان في الصدر اقل علة او ضعف نكس الماشي رأسهُ وارخى كتفيهِ الى الامام . فالمشي الصحي النافع يتوقف على حفظ الجسم جالساً تماماً وارجاع الكتفين الى الوراء ودفع الصدر الى الامام وجعل الرأس مستقيماً والذقن متجهة الى العنق كانها مشدودة اليهِ فهذا كلهُ يقوي عضلات الظهر ويقوّم اود الجسم ويجب ترك الذراعين تتراوحان بكل سهولة والكفين

مفتوحتين وان يطأ كعب القدم الارض اولاً ثم سائرها ولتكن القدمان راسختين ثابتتين والركبتان مشدودتين الى الوراء وليكن المشي في باديء الامر معتدلاً وغير متعب ثم تزاد السرعة والمسافة تدريجاً حتى يصير المرء يقطع من اربعة الى خمسة اميال في الساعة وان شاء احد المزيد من الرياضة بالمشي فليحمل اثقالاً خفيفة على كتفيهِ او بكلتا يديهِ

اما العدو والوثب والقفز فانواع من المشي لكن تعودها يجب ان يكون بطيئاً جدًّا ليتسنى للقلب والرئتين ان تقوى وتعتادها . والاكثار منها مضر ولا سيما بالذين لم يعتادوا الرياضة اليومية

⁂

الدمبلس . كان لهذا النوع من الرياضة شأن يذكر ومقام رفيع عند قدماء اليونان والرومان والصينيين وغيرهم من الامم التي كانت تتعشق القوة البدنية فكانوا يستعملونها على طرائق شتى ويفاخرون باللعب بها . وهي نوعان خشبي وحديدي فالخشبي يستعمل في الترويض السريع الطويل المدة والحديدي يستعمل لانماء العضلات بوجه عام وتقوية الذراعين بوجه خاص ويجب ان لا يزيد ثقل الحديدي منها في باديء الامر عن جزء من خمسة وعشرين جزءًا من زنة الجسم ثم يزاد على الاطراد حتى يبلغ اثني عشر ونصفاً. والمتروض بها يجب ان يقف وقدماهُ ملصوقتان وركبتاهُ مشدودتان الى الوراء وصدرهُ مدفوع الى الامام وكتفاهُ راجعتان الى خلف وعيناهُ شاخصتان الى فوق . اما طرق اللعب بها فعديدة جدًّا يتفنن فيها اللاعبون على اشكال واطوار

اما الرياضة اليومية الواجب اتباعها للذين لا يعملون اعمالاً جسدية فهي :—

(١) قف جالساً على الجزء الامامي من القدمين وارفع ذراعيك الى فوق رأسك مبسوطتين وفي اثناء ذلك تنفس تنفساً عميقاً كمن يصعد زفرات ووالِ ذلك عشر مرات

(٢) ارفع دمبلس حديدية وزنها جزءٌ من خمسة عشر جزءًا من جسمك خمسين مرة من الاسفل الى الاعلى

(٣) اعد طريقة التنفس المشار اليها اولاً

(٤) اركع نصف ركعة وانهض وكرر ذلك خمسين مرة وكلما ركعت ونهضت عشر مرات استرح قليلاً والمقصود هنا من نصف الركعة هو ان تنهض قبلما تمس ركبتاك الارض

(٥) اعد التنفس المشار اليهِ

(٦) ارفع الدمبلس الى جهة الوراء وابقها مرفوعة بضع ثوانٍ ووالِ ذلك خمسين مرة

(٧) اعد التنفس المشار اليهِ

(٨) ارفع الدمبلس من الكتفين الى الاعلى خمسين مرة

(٩) اعد التنفس المشار اليهِ

(١٠) ارفع الدمبلس الى ما فوق رأسك وابسط ذراعيك بهما كمن يرسم نصف دائرة فوق رأسهِ ووالِ ذلك خمسين مرة واسترح بعد كل عشر مرات منها

(١١) اعد التنفس المشار اليهِ . ثم استحم اذا شئت وتناول طعامك

ولا تنسَ انهُ يجب مع ما ذكرنا المشي ميلين او ثلاثة في اليوم

رحمه صروف

تربية الاولاد على الاقتصاد

قال الشاعر واجاد

ان الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء اي مفسده

فقد اثبت الاختبار انهُ لا شيء اضرُّ بالمرء من ان يربى في نعمة ويرسخ في ذهنهِ انهُ من اهل اليسار فيستطيع ان ينفق كل ما يريد وقتما يريد . فان الفتى الذي يربى في نعمة وافرة ولا يتعلم الاقتصاد في صغرهِ قلما يفلح في ميدان الحياة . واذا فتشت عن الفارق الاكبر بين الناس من جهة الاجتهاد والاقتصاد رأيت انهُ يقوم بتربيتهم صغارًا على الاقتصاد او على الاسراف فالذي يربى على الاقتصاد ولو كان ابوهُ غنيًّا يشبُّ عارفًا قيمة المال لا ينفقهُ الَّا في سبيلهِ وعارفًا قيمة الوقت والصحة والعمل فلا يضيع وقتهُ سدًى ولا يتلف صحتهُ في ما لا يجديهِ نفعًا ولا يعمل اعمالاً لا جدوى منها والذي يربى على الاسراف يشب وهو لا يعرف قيمة المال ولو كان ابوهُ فقيرًا ولا يعرف قيمة لوقتٍ ولا لصحة ولا لعمل فيعيش مكسالاً متلافًا ويخرج من الدنيا ولا يترك فيها اثرًا طيبًا بعدهُ

اخبرنا رجل من اهل النشاط والجد ان اباهُ كان على ثروة طائلة لكنهُ لم ينفق على تعليمهِ الَّا في المدرسة الابتدائيَّة فلما وصل الى المدرسة العالية جعلهُ يشتغل وينفق على نفسهِ وهذا شأن اكثر الاميركيين المتوسطي الثروة فانهم لا ينفقون على تعليم اولادهم في المدارس العالية بل يكتسب اولادهم في الفسحة المدرسيَّة ما يقوم بنفقاتهم حتى انهم يدخلون الفنادق خدمًا مدة اجازة الصيف . والرجل الذي اخبرنا بما تقدَّم ربَّى اولادهُ على هذه الصورة فصاروا رجالاً يفتخر بهم

ولا ينكر ان بعض ذوي الثروة لا يتبعون هذه القاعدة ومع ذلك يشبُّ اولادهم

عارفين قيمة المال والصحة والوقت ولكن الاولاد الذين يشبون كذلك قليل عددهم فلا يبنى عليهم حكم وما تقدَّم هو الغالب

وقد يجري بعض الاوربيين والاميركيين على قاعدة جرَّبوها وثبت لهم نفعها وهي انهم يحثون اولادهم على ان يعملوا عملاً في البيت ويأخذوا اجرتهم فيصير للنقود التي اخذوها قيمة في اعينهم لانها اجرة عمل عملوهُ وتعبوا فيهِ وهي طريقة حسنة

وقال غيرهم ان الوالد الذي يؤْثر اولادهُ على نفسهِ يعلّمهم بالعمل ان يصيروا محبين لانفسهم غير مهتمين براحة والديهم والوالد الذي يؤْثر نفسهُ على اولادهِ يعلمهم بالعمل ان ينصرفوا عن ملذاتهم ويهتموا براحة والديهم . وهذا يصدق على البنات كما يصدق على البنين فان البنت التي تساعد امها في اعمال البيت وتقاسمها المتاعب كلها تصير زوجة حكيمة مدبّرة لامور بيتها

هذا وتربية الاولاد تتناول مئات من المواضيع ولكن غرس مبادىء الاجتهاد والاقتصاد في النفوس من اهمها كلها ولولا اضطرار الفريق الاكبر من الناس للعمل واحتياجهم الى إشراك اولادهم معهم صغارًا في اعمالهم لساءت احوال نوع الانسان ولذلك تجد ان اهل الثروة الذين لا يربون اولادهم هذه التربية ينقرضون رويدًا رويدًا ويحل محلهم ابناء الفقراء الذين شبُّوا على الاجتهاد والاقتصاد

الوقاية من الكوليرا

اهمُّ موضوع يشغل الافكار في هذه الايام انتشار الكوليرا في بلاد الحجاز والخوف من وصولها الى القطر المصري . ويرجح كثيرون من العارفين بضعف رجال الحفظ عن منع دخول العدوى ان هذا الوباء لا بد من ان يدخل القطر . فاذا صح ما يقولون ترتب على كل احد ان يبذل جهدهُ ليقي نفسهُ منهُ وقد صار التوقي سهلاً بعد ان عُرفت حقيقة الوباء وكيفية اتصالهِ من المصاب الى السليم فان لهُ جراثيم صغيرة جدًّا لا ترى بالعين لصغرها تكون في مبرزات المصابين بهِ فاذا تلوَّثت بها ثيابهم وغسلت في بركة او ترعة انتشرت الجراثيم في الماء ودخلت معد الذين يشربون منهُ وكذلك اذا تلوثت يدا احد بها او بالماء الذي تغسل بهِ ثم مسك طعامهُ بيديهِ فالمرجح ان تلك الجراثيم تصل الى طعامهِ ومنها الى معدتهِ . وقد يقع الذباب على المبرزات او على الثياب فيحمل جراثيم الكوليرا ويوصلها الى الاطعمة التي يقع عليها

وقد ثبت من التجارب العلمية ان جراثيم الكوليرا اي ميكروبات الكوليرا لا تعيش في المعدة الا اذا كانت قليوية فاذا كانت المعدة حامضة فميكروبات الكوليرا تموت فيها ولا تؤذي

فاذا اتضحت هذه المقدمات كلها عُلم ان الوقاية تقوم بالوسائط التالية

اولاً . بمنع دخول المصابين وامتعتهم الى البلاد مطلقاً

ثانياً . اذا لم يتيسر ذلك فبفرز المصابين وتطهير مبرزاتهم وحرق امتعتهم حتى لا يبقى سبيل لوصول ميكروبات الكوليرا منهم الى غيرهم

ثالثاً . بان يهتم كل انسان بنظافة الماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ حتى يكون على ثقة تامة ان ميكروب الكوليرا لم يصل اليهما

رابعاً . ان يعتني كل احد بمعدتهِ حتى تكون حامضة دائماً ويساعدها باضافة نقط قليلة من الحامض الهيدروكلوريك الى الماء الذي يشربهُ

فاذا اتُّبعت هذه الوسائط كلها فالمرجح ان الوباء لا يدخل القطر المصري وان دخلهُ لا ينتشر فيهِ . ولا بدَّ من ان تنشر مصلحة الصحة نشرات كثيرة توزعها في البلاد ترشد بها الناس الى كيفيَّة اتقاء الكوليرا فعسى ان توجز المقال فيها وتكتفي بالقواعد الضروريَّة وتطبعها بحروف كبيرة لتعلَّق في اماكن كثيرة في كل بلد حتى يطَّلع الجميع عليها ويقرأها عارفو القراءة للذين لا يعرفونها

وعسى ان تنشر ايضاً ما لا بدَّ من معرفتهِ لتشخيص الداء وكيفيَّة معالجتهِ الى ان يحضر الطبيب

فائدة الصوم

ان افضل دواء للتخمة او لسوء الهضم الصوم وتقليل الطعام قال رجل ثقة كنت اشكو من سوء الهضم فلا اكاد انام في فراشي حتى اشعر بتعب ومغص وحرقة شديدة كأَن امعائي تتقطع وتجيش نفسي طلباً للقيء فجعلت اصوم في الصباح او اقتصر على فنجان من اللبن فيهِ قليل من الشاي افت فيهِ كسرة من الخبز واكل اكلاً معتدلاً الظهر واكتفي بصحن من الشوربا وقليل من اللحم او الخضر في المساء فلم يمضِ عليَّ اسبوع حتى اصطلح هضمي وزالت التخمة والحرقة ولا ازال مقتصراً على فنجان اللبن في الصباح ولكنني آكل الظهر والمساء من كل ما يقدَّم لي الى ان اشبع ولا اشعر بتخمة ولا بتعب . ومرادي ان لا احول عن هذا العلاج كلما اصابتني التخمة اي ان اصوم في الصباح او اكتفي بفنجان من اللبن واقلل اكلي في الظهر والمساء لاني وجدتهُ خير علاج

باب التقريظ والانتقاد

كتاب البدء والتاريخ

ان كان اهالي اسبانيا قد اساءوا الى العلم والعمران اعظم اساءة بحرقهم كتب العرب يوم اخرجوا بقيتهم من الاندلس فعلماء هذا العصر من الالمان والفرنسويين والايطاليين والانكليز قد محوا ذنوب الاسبانيين بتفتيشهم عن الكتب العربيَّة وطبعها ونشرها بعد مقابلة نسخها وتصحيحها ووضع الفهارس الهجائيَّة لها

ومن الكتب النفيسة التي اعتنوا بطبعها ونشرها حديثًا كتاب البدء والتاريخ المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي

جاء في كشف الظنون ان هذا الكتاب "للشيخ الامام ابي زيد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٤٠ (للهجرة) وهو كتاب مفيد مهذَّب عن خرافات العجائز وتزاوير القصاص لانهُ تتبَّع فيهِ صحاح الاسانيد في مبدإِ الخلق ومنتهاهُ فابتدأَ بذكر حدود النظر والجدل واثبات القديم ثم ذكر ابتداء الخلق وقصص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم وتواريخ الملوك والخلفاء في زمانهِ في ثلاثة وعشرين فصلاً في مجلد واحد"

وقد وجدت نسخة منهُ في الاستانة العلية فعني بطبعهِ وترجمتهِ الى الفرنسويَّة حضرة الفاضل المحقق المسيو كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسوية وكاتب السر ومترجم اول الحكومة الفرنسوية واحد اساتذة مدرسة الالسنة الشرقية في مدينة باريس

والكتاب كبير وقد صدر منهُ اربعة اجزاء وامامنا الآن الجزء الرابع منها وهو يبتدئ من الفصل الثاني عشر وينتهي في الفصل السادس عشر. ولغتهُ ناصعة البيان تتجلى بابهى ديباجة البلاغة . وان كان المؤلف قد وصف احوال الناس في ايامهِ كما اطَّلع عليها لا كما تصوَّرها تصوُّرًا فيكون معطّلو زمانهِ اقبح الناس سيرةً وسريرة والمشككون او اللاادريون من اجهل الناس وهذا لا ينطبق على المعروف في زماننا فان رجلاً مثل الاستاذ هكسلي كان معطلاً او لا ادريًا ولم يكن بين اكثر الناس تدينًا رجل اشد منهُ تمسكًا بالآداب وابعد منهُ عن المعايب حتى يضرب المثل باستقامتهِ ونزاهتهِ وعفتهِ

ويرى اسلوب المؤلف في بحثهِ من المقدمة التي قدمها للفصل الثاني عشر حيث قال "اعلم ان اختلاف الناس في مذاهبهم واعتقاداتهم كفاء اختلافهم في اخلاقهم وهممهم وارادتهم والوانهم والسنتهم فكما لا تجد اثنين على صورة واحدة وصيغة واحدة وهمة واحدة الاَّ في الشاذ النادر فكذلك في وجود اثنين على رأْي واحد وخاطر واحد . وان كان الدين الواحد يجمع عالمًا من الخلق فان الآراء تتوزعهم والهمم تتشعَّب بهم اللهمَّ الاَّ الطوائف المقلِدة فان اجماعهم على ما يزعمون دعوى لا حقيقة لها عند التفتيش"

وقال بعد هذا التمهيد ان العاقل لا يخلو من اعتقاد حق او باطل او الوقوف موقف الشك . وابطل الحالة الثالثة وهي الوقوف موقف الشك بقوله ولا يجوز بقاء الشك لان الشك من الجهل بالشيء وتكافوء العلل فيهِ لتحقيق شيء او ابطالهِ كما لا يجوز قيام الادلة على وجود شيء وعدمهِ في حالة واحدة ووقت واحد ... فقد بطلت منزلة الشك والسلام . فالناس اذًا لا يخلون من اعتقاد ديانة ما او تعطيل في الجملة

وقال في وصف المعطلة ان "لهم اسماء اخرى فيقال لهم الملاحدة والدهرية والزنادقة والمهملة وهم اقل الناس عددًا وافيلهم رأْيًا واشرهم حالاً واوضعهم منزلةً" ثم قال انهم "يستحلون المحارم كلها الزنا والسرقة والقتل والكذب والغيبة والنميمة والبهتان والوقيعة وشهادة الزور وقول الافك ورمي المحصن والسعاية والغمر والسخرية والطنز والاستهزاء والبطر والكبر والخيلاء والظلم والعقوق والغدر والخلاف ونقض العهد واخلاف الوعد واشباه ذلك من الرذائل المحظورة في العقل والمحارم المزجور عنها في الشرع"

ولم يكتفِ بهذه النعوت بل قال انهم "ما انتشروا في امة من الامم انتشارهم في هذه الامة لاعطائهم الاقرار بالديانة ظاهرًا وحقن الشريعة دم من اجاب اليها وهم هؤُلاء الباطنيَّة الباطليَّة" . وواضح من ذلك انهُ قصد شيعة الباطنيَّة الذين ادَّعى عليهم انهم يظهرون الاسلام ويأتون المنكرات فوصفهم وصف حاقد عليهم متربص للانتقام منهم وان كان قد حكم عليهم بالتعطيل وهم يقرُّون بالديانة ظاهرًا فكل اثيم معطلٌ ويصحُّ ان يكون كل غير اثيم غير معطل لان التعطيل ينتج الاثم دائمًا على مذهبهِ

والظاهر من كلامهِ ان فرَق نصارى المشرق كانت في عهدهِ ستًّا وهي الملكانية والنسطورية واليعقوبيَّة والبرذانية والمرقونية والفولية واراد بالفولية النسبة الى بولس الصاموسي

ويظهر من كلامهِ على اقسام الارض واقاليمها انهُ لم يكن يعرف من اواسط اوربا وشماليها الاَّ شيئًا قليلاً جدًّا فاوصل الاقليم السادس الى القسطنطينية وبلاد برجان

(اي البلغار) وبحر المغرب ثم قال " اما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانهُ يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج وماجوج فيمر على بلاد التغزغز وارض الترك وعلى بلاد الان ثم على بلاد برجان ثم على شمال الصقالبة الى ان ينتهي الى بحر المغرب فهذا موضع عمران الارض والبحور مما يعرف واما ما وراء ذلك فارضون مجهولة لا يعرف ما وراءها احد الاَّ الله عزَّ وجل ". وعليهِ فالفينيقيون الذين كانوا قبله بالفي سنة كانوا يعرفون من اوربا اكثر منهُ

وطبع الكتاب حسن جدًّا ولكن قلما تخلو منهُ صفحة من الخطإ المطبعي ففي السطر الاخير من الصفحة الاولى كلمة لهُ صوابها لها وفي السطر الرابع قبل الاخير من الصفحة الثالثة كلمة والاستحقاق صوابها والاستخفاف وفي السطر الخامس قبل الاخير من الصفحة الرابعة كلمة تملك والصواب تملكهُ وفي السطر الخامس قبل الاخير من الصفحة الخامسة كلمة اختاروا والصواب اختاروهُ. ولكن لا يتعذر اصلاح هذه الاغلاط على القارئ اللبيب فمنا لناشر هذا الكتاب جزيل الشكر

النوموغرافيا

Calcul Graphique et Nomographie par M. d'Ocagne

اشير الى هذا الكتاب النفيس في الجزء الماضي في المقتطف في الخطبة التي انشأها حضرة احمد بك كمال الرياضي . وقد اهديت الينا نسخة منهُ فوجدناهُ مثل سائر كتب التعليم الفرنسوية واضح الدلالة جدًّا موضحًا بالرسوم الكثيرة. ومما سرَّنا فيهِ بنوع خاص كثرة استشهاد المؤلف بالشاب الرياضي الذي اكتشفنا قواهُ الرياضية منذ بضع عشرة سنة وهو فريد افندي بولاد فان المؤلف استشهد سبع مرات بالقضايا التي استنبطها او حققها. وقد وعدنا فريد افندي بولاد بان ينشئ للمقتطف فصولاً قريبة المأخذ في هذا العلم الجديد افادة لقرائهِ المشتغلين بالعلوم الرياضيَّة . وفي الكتاب اربع مئة صفحة موضحة بنحو ١٥٠ شكلاً

لغة العالم الجديدة

رسالة صغيرة في لغة الاسبرانتو ترجمها عن الفرنسوية حضرة مصطفى افندي امام استاذ الفرنسوية في طرابلس الشام. ويعلم قراء المقتطف شيئًا عن هذه اللغة مما نشرناهُ عنها في المجلد الحادي والثلاثين . ويسعى واضع هذه اللغة وانصارهُ ليجعلوها لغة عامة تقوم مقام سائر

اللغات فيزيد عدد اللغات لغةً . وقد فاتهم على ما يظهر لنا ان الانسان يتعلَّم لغة والديهِ واهل بلدهِ بحكم الضرورة ثم اذا تعلَّم لغةً اخرى فلكي ينتفع من تعلمها في الغالب فهو تاجر يبذل المال والوقت والمواظبة والقوة العقلية لكي يستفيد علمًا او يكتسب مالاً والذين هم في سعة من الوقت والمال حتى ينفقوا على تعلُّم لغة وهم غير مضطرين الى تعلُّمها قليل عددهم . ولذلك لا نرى كيف يمكن لهذه اللغة ان تشيع "وتصير في وقت قريب لغة العالم بأسرهِ" كما قال مترجم هذه الرسالة . اما شيوعها بين الوف من الاوربيين فلا يؤخذ دليلاً لانهُ لو قام اليوم رجل في اوربا ونادى بعبادة العجل لوجد لهُ من الاوربيين والاميركيين الوفًا من الاتباع

الارصاد الجوية

Meteorological Report for 1905.

اهدت الينا ادارة مرصد حلوان الجزء الاول والثاني من ارصادها عن سنة ١٩٠٥ والاول منهما عن الارصاد في مرصد حلوان ويظهر منهُ ان متوسط الحرارة كان في يناير ١٠٫٢٣ وفي فبراير ١١٫٢٥ . وفي مارس ١٥٫٠٩ وفي ابريل ٢٠٫٦٨ وفي مايو ٢٤٫٧١ وفي يونيو ٢٦٫٣١ وفي يوليو ٢٨٫٠٢ وفي اغسطس ٢٧٫٢٦ وفي سبتمبر ٢٥٫٨٤ وفي اكتوبر ٢٤٫٣٥ وفي نوفمبر ٢٠٫٠٨ وفي دسمبر ١٢٫٥٩ وكان اشد درجات الحرارة في شهر مايو حين بلغت في الثلاثين منهُ ٤٣٫٨ واخفها في ٣٠ دسمبر حين بلغت ١٫٣ لا غير . وكان متوسط ساعات اشراق الشمس كما ترى في هذا الجدول

	ساعة	دقيقة		ساعة	دقيقة
يناير	٦	٤٦	يوليو	١٢	٢٦
فبراير	٦	٣٧	اغطسس	١١	٥٠
مارس	٦	٥٠	سبتمبر	٩	٢٢
ابريل	٨	٥٨	اكتوبر	٨	٢٣
مايو	١٠	٥٢	نوفمبر	٨	١٣
يونيو	١١	٣٨	دسمبر	٦	٤٥

وجملة الساعات التي اشرقت فيها الشمس في السنة كلها ٣٣٠٨ او نحو ٧٣ في المئة من المدة التي كانت فيها الشمس فوق الافق

ووقع فيها من المطر في يناير مليمتر ونصف وفي فبراير مليمتر و ٨ اعشار وفي مارس مليمتر وتسعة اعشار وفي ابريل اربعة اعشار المليمتر وفي اكتوبر عشر وفي نوفمبر ٦ اعشار وفي دسمبر عشران والجملة ثمانية مليمترات وثلاثة اعشار اي نحو ثلث عقدة لاغير

وكان الغيم على اكثرهِ في شهر مارس وعلى اقلهِ في شهر يوليو وقد حجب وجه السماء في الثامن من فبراير والسابع من مارس والرابع والعشرين من ابريل ومرَّت ايام كثيرة من يونيو و يوليو واغسطس وسبتمبر ولا غيمة في السماء

وقيَّدت آلة رصد الزلازل هزات كثيرة في كل شهور السنة وزلزلة في ٩ يوليو سعتها اكثر من ١٨ وفي ٢٣ منهُ سعتها اكثر من ١٨ ايضاً وفي ٨ سبتمبر سعتها ٩ وهي زلزلة كلبريا وفي ٢٦ سبتمبر سعتها ٩ ايضاً

والجزء الثاني من هذا التقرير عن سائر الاماكن التي ترصد فيها الاحوال الجوية في القطر المصري والقطر السوداني وهي الاسكندرية وبورت سعيد والمحلة الكبرى والسويس والطور والعباسيَّة والجيزة وحلوان وأسيوط والواحة الداخلة واصوان ووادي حلفا ومروي وبربر وكسلا والخرطوم وسواكن و بورت سودان والقلابات والرصيرص وود مدني والدويم والابيّض وحلة دُلَيب وكدك وواو ومنجلا · وعن الاماكن التي يقاس فيها فيضان النيل وسنبسط الكلام عليهِ في الجزء التالي

مستشفيات الرمد

انشأ الدكتور فرجوسن ماكلن رئيس مفتشي هذه المستشفيات مقالة عن اعمالها مدة الاربع السنوات الماضية تلاها في جمعية الطب البريطانية في اجتماعها السنوي في شهر اغسطس الماضي · وقد ترجمت الى العربيَّة وطبعت وفيها وصف مسهب لاعمال هذه المستشفيات التي يعزى الفضل في انشائها الى السر ارنست كاسل فانهُ وهب الحكومة المصرية اربعين الف جنيه سنة ١٩٠٣ لتخفيف ويلات الرمد ودرء غائلتهِ عن فقراء القطر المصري

واول مستشفى من هذه المستشفيات انشئ في منوف وذلك في اوائل شهر يناير سنة ١٩٠٤ وهو خيام هندية كبيرة

وقد بلغ عدد الذين فحصوا في المستشفيات الرمدية سنة ١٩٠٦ اكثر من اربعين الفاً قبل منهم في العيادة الداخلية والخارجيَّة ٧٣٢٧ وبلغ عدد العمليات الجراحية ٥٨٤٦· و ٢٦١٣ من الذين شوهدوا كانوا مصابين بالشعرة و ٧٠١ كانوا مصابين بالغلوكوما البسيطة

و١٩٦٠ كانوا عورًا او عميًا . و٦٥٧ كانوا مصابين بالكتركتا وجانب كبير من الباقين كانوا مصابين بالرمد الحبيبي وكثير منهم اصابتهم شديدة جدًّا وقد شاهد واحدًا مصابًا بالبرص (البينو)

ومما يدهش كثرة المصابين بالرمد الحبيبي من تلامذة المدارس فقد فحص ١٥٩ تلميذًا في مدرسة دمياط الاميرية فوجد ان تسعين منهم مصابون بهِ واربعين مصابون باصابات قرنية تكفي لاتلاف النظر و١٥ مصابون بانواع اخرى غير الرمد الحبيبي

باب المسائل

(١) كتاب مسرات الحياة

اشمون . محمد افندي زكي صباغ . لقد عرَّب المقتطف مقالات للورد افبري من كتابهِ سعادة الحياة فما اسم ذلك الكتاب ومحل بيعهِ

ج نظن انكم تعنون كتابهُ The pleasures of Life وهو جزءان ولا نظن ان ثمنهُ يزيد على بضعة شلنات وكل بائعي الكتب الانكليزيَّة في مصر يسهل عليهم ان يجلبوهُ لكم من بلاد الانكليز

(٢) خطب مجمع ترقية العلوم

ومنهُ . اين تنشر خطب مجمع ترقية العلوم البريطاني

ج نحن نراها في مجلة ناتشر الانكليزيَّة ونراها ايضًا منشورة كلها او اكثرها في جريدة التيمس

(٣) السلطان ورعاياهُ

ومنهُ . ما اسم الكتاب الذي اهداهُ لورد كرومر الى احدكما وما هو موضوعهُ واسم مؤَلفهِ

ج اسمهُ السلطان ورعاياهُ The Sultan and his Subjects; by Richard Davey وهو مجلدان وقد طبع في مدينة لندن سنة ١٨٩٧ وفيهِ وصف مسهب لرعايا الدولة العليَّة ولاسيما الاتراك منهم

(٤) متخرجو المدارس الانكليزية

الزقازيق . ب . سليم . اذا اخذ طالبٌ الشهادة العليا من مدرسة للسياسة في انكلترا فهل يمكن ان يوظَّف في احدى وظائف الحكومة المصرية وما هي الوظيفة التي يوظَّف فيها وهل يترقَّى كما يترقَّى الذين اخذوا الشهادات من مصر

ج ان الذين يتخرَّجون من المدارس

العالية في انكلترا يكونون موءهلين لخدمة الحكومة المصرية مثل الذين يتخرجون من مدارس مثلها في القطر المصري اذا جازوا الامتحان في اللغة العربيَّة ايضاً · والذين يتعلمون منهم في المدارس التي تعلم علم الادارة يوظفون في نظارة الداخلية ويرقون حسب اهليتهم الشخصيَّة فقد يُعيَّن الواحد منهم مفتشاً ثم يرقى الى وظيفة مدير في سنين قليلة

(٥) استهلاك الدين المصري

مصر · احد المشتركين · ان الدين المصري يبلغ تسعين مليونًا من الجنيهات ولا تستهلك الحكومة منهُ سنويًّا سوى ثلثمائة الف جنيه تقريبًا فهل يلزمنا ان ننتظر على هذا الحساب ٢٧٠ سنة حتى توفي هذا الدين وهل كان من شروط الدائنين استهلاكهُ على هذه الكيفيَّة ولو فرضنا ان وجد هذا المبلغ عند المصريين ورغبوا في تقديمهِ الى الحكومة لايفاء هذا الدين وحسبناهُ دينًا اهليًّا فهل يتيسَّر ذلك

ج اولاً ان الفائدة التي تدفعها الحكومة المصريَّة على دينها نحو ٣ ١/٢ في المئة سنويًّا وهي محتاجة الى النقود لاعمال كثيرة عموميَّة نافعة او ذات ايراد مثل الترع والمصارف وسكك الحديد والسكك الزراعيَّة والخزانات وما اشبه فان هذه الاعمال تقتضي نفقات كثيرة ومنها ربح سنوي يزيد على عشرة في المئة فليس من الحكمة ان توفي دينها بما عندها من النقود وهي قادرة ان تستغل منها عشرة في المئة او اكثر والدين لا يكلفها الاَّ ثلاثة ونصف في المئة

وثانيًا انهُ لا مانع يمنعها من ان تستهلك من دينها بكل ما يتوفَّر عندها من النقود في اي وقت شاءت وذلك بان تشتري السندات وتحرقها او تحفظها ولا تدفع فائدتها ولكنها اذا طلبت المشترى فالسند الذي ثمنهُ مئة جنيه لا تستطيع ان تشتريهُ بمئة وعشرة جنيهات لان الذين عندهم السندات يصيرون يغالون بها اذا وجدوا لها مشتريًا راغبًا في مشتراها او مضطرًّا الى مشتراها ولا يستثنى من ذلك الاَّ الدين المضمون فانهُ مقسط الى اقساط سنوية كل قسط منها ٣٠٧٠٠٠ جنيه فيوفى كلهُ سنة ١٩٤٨

وثالثًا انهُ اذا كان عند اهالي القطر اموال فائضة وارادوا ان يشتروا دين الحكومة ويكونوا هم المداينين لها فطريقة ذلك ان يكثروا من مشترى السندات من السوق اي سندات الدين الموحد والدين المضمون والدين الممتاز ودين الدومين فمتى صارت هذه السندات كلها في يدهم صاروا هم اصحاب دين الحكومة . ولكن الناس يستدينون الآن المئة بستة الى تسعة على الاقل فهل يعقل انهم "يوظفون" اموالهم في دين لا يعطيهم الاَّ ثلاثة او ثلاثة ونصفًا في المئة سنويًّا

هذا اذا نظرنا الى المسألة من وجهها المالي فقط اما اذا نظرنا اليها من وجهها السياسي وكان الدَّين يجيز للدول الاوربية السيطرة على القطر المصري فللمسألة شأن آخر

(٦) دخل ترعة السويس

ومنهُ . كم هو دخل ترعة السويس السنوي وكم هو الربح السنوي الذي توزعهُ وهل تعطي الحكومة المصرية شيئًا منهُ

ج يبلغ دخلها السنوي نحو اربعة ملايين من الجنيهات وقد وزعت ربحًا سنويًّا في العام الماضي خمسة جنيهات و ١٣ شلنًا لكل سهم وكان الربح الذي وزع سنة ١٨٧٦ جنيهًا واحدًا وعشر بنسات لكل سهم ولا تأخذ الحكومة المصرية شيئًا من هذا الربح لانها باعت كل اسهمها للحكومة الانكليزيَّة في عهد اسمعيل باشا بنحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي ١٧٠١٥٩ سهمًا وقد خصَّ الحكومة الانكليزيَّة من ربحها في العام الماضي ١٠٢١٧٢٨ جنيهًا

(٧) امتياز ترعة السويس

ومنهُ . اتذكَّر انهُ منذ سنين قليلة كان انقضى اجل هذا الامتياز فلماذا تجدَّد مع انهُ في وسع الحكومة ادارتهُ مع ابقاء جميع الموظفين في مراكزهم

ج تذكُّركم غلط فان الامتياز لا ينتهي الَّا سنة ١٩٦٨ اي بعد ستين سنة لانهُ لتسع وتسعين سنة ويحق للحكومة المصرية حينئذٍ ان تأخذ الترعة على شرط ان تدفع الى الشركة قيمة المواد المختصة بخدمة الكنال البحرية

(٨) تحوُّل المعادن

ومنهُ . قرأت في مقتطف شهر يناير الماضي ان النحاس امكن تحويلهُ بواسطة اشعة الراديوم الى عنصر آخر وهو الليثيوم فلماذا لا يصدَّق اليوم تحويل القدماء بعض المعادن الى ذهب

ج ان التحويل الذي تمَّ حتى الآن مشكوك فيهِ ولكن اذا فرضنا انهُ ثبت تمامًا بما ينفي كل شك فهو من الاعلى الى الادنى ومن الثقيل الى الخفيف . ومبدأ التحول لم يعد منكرًا الآن ولكن يبعد عن الظن ان يكون احد قد اهتدى الى طريقة تحويل النحاس او الفضة الى ذهب ثم ضاعت تلك الطريقة او لم تشع . وقد ادَّعى البعض منذ بضع سنوات انهم اكتشفوا طريقة لعمل الذهب ويقال انهم صنعوا ذهبًا او معدنًا يماثل الذهب وعرضوهُ على مدير دار ضرب النقود في الولايات المتحدة فلم يفرقهُ عن الذهب واشتراهُ كانهُ ذهب . وسنشرح ذلك في الجزء التالي

(٩) سبب الشيب الباكر

منتريال بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور لماذا يشيب بعض الناس باكرًا ويكتهل البعض قبل ان يظهر الشيب فيهم

ج ان الميل الى الشيب الباكر موروث

فقد يرثهُ الانسان من ابيهِ او من امهِ او منهما كليهما وقد يرث ذلك من اجدادهِ اما كيف وجد الميل الى الشيب اولاً فغير معروف ولكن يحتمل انهُ مرَّ على نوع الانسان عصر كان فيهِ في بلاد حارَّة مثل بلاد الزنوج وكان شعرهُ اسود كشعرهم ثم انتقل الى بلاد باردة او بردت البلاد التي كان فيها في العصر الجليدي فابيض شعرهُ كما يبيض صوف بعض الحيوانات في فصل الشتاء لكي يكون امنع لافلات الحرارة من بدنهِ ثم عاد فانتقل الى الاقاليم المعتدلة او اعتدل الاقليم ثانية فصار اولادهُ يمرون على الطورين اللذين مرَّ عليهما نوع الانسان فيكون شعرهم اسود اولاً ثم يشيب

(١٠) منع سقوط الشعر

ومنهُ . ما احسن دواء لمنع سقوط الشعر

ج الزيوت والادهان فانها تغذي اصول الشعر ويشترط ان يفرك جلد الرأس بها جيداً ويحسن ان يضاف اليها مادة منبهة مثل صبغة الذراح (كنثريدس)

(١١) الانسان واكل اللحم

ومنهُ . قلتم في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف ان الانسان من آكلات اللحوم ونرى النباتيين ينفون ذلك فايٌّ هو الاصح

ج لا شبهة ان الانسان يأكل اللحوم ويأكل النباتات ايضاً ووجود الانياب في فكيهِ من الادلة على انهُ من جملة آكلات اللحوم . وقد اكل الناس اللحم من اول عهدهم كما يظهر من آثارهم القديمة لكن ذلك لا ينفي انهم يستطيعون ان يقتصروا على اكل المآكل النباتية المغذية كالخبز والفول والعدس فان فيها كلها مادة نيتروجينيَّة مغذية كالمادة التي في اللحم

(١٢) فائدة المصارين

ومنهُ . يشتري التجار مصارين الغنم من الممالك العثمانية ويملحونها ويشحنونها الى اوربا فما يعملون بها في اوربا

ج يصنعون منها الاوتار للآلات الموسيقيَّة ونحوها

(١٣) سكان مدن سورية

الشوير بلبنان . جابر افندي شبلي . كم عدد السكان في المدن التالية في الوقت الحاضر وفي سنة ١٨٦٠ وهي دمشق وحلب واورشليم وبيروت وحماة وحمص وانطاكية ويافا وعكا وحيفا وطرابلس واللاذقية وطبرية والناصرة ونابلس وغزة

ج اننا لم نقف على احصاء لها في الوقت الحاضر ولا في سنة ١٨٦٠ ولكننا رأينا عدد سكان بعضها في جغرافية الدكتور فان ديك المطبوعة سنة ١٨٥٢ وعدد سكان المدن الاربع الاولى منها في كتاب السياسة السنوي المطبوع سنة ١٩٠٧ وعدد سكان المدن الباقية في دليل بدكر المطبوع سنة ١٨٩٨ وذلك كما ترى في هذا الجدول

والاحصاء الاول في العمود الاول والاحصاءان التاليان في العمود الثاني

دمشق	١٥٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠
حلب	١١٠٠٠٠	١٢٧١٥٠
اورشليم		٤٢٠٠٠
بيروت	٣٠٠٠٠	١١٨٨٠٠
حماة	٣٠٠٠٠	٥٠٠٠٠
حمص	٢٠٠٠٠	٦٠٠٠٠
انطاكية	٩٠٠٠	٢٨٠٠٠
يافا	٩٠٠٠	٣٥٠٠٠
عكا	٦٠٠٠	١١٠٠٠
حيفا		١٢٠٠٠
طرابلس	١٣٠٠٠	٢٣٠٠٠
اللاذقية	٤٠٠٠	٢٢٠٠٠
طبرية		٤٠٠٠
الناصرة		١٠٠٠٠
نابلس		٢٤٠٠٠
غزة		٣٥٠٠٠

باب الاخبار العلمية

التعريب

بحث نادي دار العلوم في القاهرة برئاسة القاضي الفاضل حفني بك ناصف في مسألة التعريب اي نقل الكلمات الاعجميَّة كالتلغراف والتلفون الى اللغة العربيَّة وذلك في ثلاث جلسات ففي الجلسة الاولى تلا اثنان من اعضائهِ خطبتين مسهبتين الواحدة تجيز التعريب الآن بل توجبهُ وتبين شرائطهُ وقد نشرناها في هذا الجزء من المقتطف والثانية لا تجيزهُ الآن بل تقيم الادلة على ان زمانهُ قد مضى وما جاز للعرب في زمن تكوُّن اللغة العربيَّة والتوسُّع فيها لا يجوز لنا الآن . وفي الجلسة الثانية تناظر الخطيبان في هذا الموضوع وشاركهم بعض الاعضاء والحضور وفي الجلسة الثالثة تليت خطب نفيسة فيهِ نشرناها في المقطم واكثر الخطباء على وجوب التعريب اذا دعت الحال الى ذلك وبعد بحث طويل دام اربع ساعات وافق الاعضاء على القرار التالي وهو

” بعد سماع ما قالهُ جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر نادي دار العلوم ان يكون العمل على النحو الآتي :— يبحث في اللغة العربيَّة عن اسماء للمسميات الحديثة باي طريق من الطرق الجائزة لغةً فاذا لم يتيسَّر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقلهِ ووضعهِ على مناهج اللغة العربيَّة ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمدهُ المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض “

فائدة السناجيب والديدان

السنجاب او القرقذون حيوان صغير يكثر في البلدان الباردة حيث تكثر الاشجار ذات الجوز فان طعامهُ من جوزها وكان المظنون ان ليس منهُ غير الضرر ولكن اتضح الآن انهُ يطمر الجوز في الارض ليأكلهُ وقت الحاجة اليهِ فينبت بعضهُ ولولا ذلك ما كثرت تلك الاشجار في الغابات. وظهر الآن ايضاً ان بعض الديدان التي تنخر الاشجار وجذورها تجمع بزورها في الاسراب التي تحفرها كأنها تزرعها زرعاً وبذلك تفيد الغابات اكثر مما تضرها

الفاغوسيت والشيخوخة

الفاغوسيت اسم لكريَّات الدم البيضاء التي تأكل الميكروبات المرضية وتنقذ الجسم من شرها. وقد قال الاستاذ متشنيكوف في كتاب الفهُ حديثاً موضوعهُ إطالة العمران هذه الكريات تبقى صديقة للانسان الى ان يشيخ فتنقلب صداقتها عداوةً وتصير تأكل الحويصلات الضروريَّة من اعضائهِ الرئيسة ولاسيما من اعصابهِ. وتصير هذه الحويصلات عرضة لفتك الفاغوسيت اذا اضعفتها سموم الميكروبات التي تتولَّد في المعي الغليظ. ومن رأي الاستاذ متشنيكوف انهُ يسهل تلافي ذلك بشرب اللبن الذي نزعت قشدتهُ وروّب بالباشلوس البلغاري اي صار مثل لبننا الرائب فانهُ يكون في اللتر منهُ نحو عشرة جرامات من الحامض اللبنيك فيمنع تولُّد ميكروبات الفساد في الامعاء

هذا ونحن نعرف شيخاً عمَّر مئة سنة او اكثر وهو على تمام الصحة ممتلئ البدن وكان يشرب اللبن الرائب في شيخوختهِ يومياً

العرب والحك المغنطيسي

جاء في جريدة ناتشر ان الاستاذ ويدمن وصف كتابين عربيين من القرن الثالث عشر والرابع عشر ذكرت في الاول منها طريقة مغنطة ابر الفولاذ بدلكها على قطع المغنطيس وفي الثاني طريقة لعمل الحك وذلك بوضع ابرة ممغنطة في جوف سمكة من الخشب فتطفو الخشبة على وجه الماء وتتجه الى الشمال والجنوب دائماً. وقد ذكرت هاتان الطريقتان في الكتابين كأنهما من الامور المتعارفة حينئذٍ. ولم تذكر جريدة ناتشر اسم الكتابين

هبات كريمة

تركت مسز ريلندس المحسنة الشهيرة من اهالي منشستر ٥٠ الف جنيه لمدرسة فكتوريا الجامعة بمنشستر و ٢٥ الف جنيه لمدرسة اونس الكلية التي هي الآن جزء من مدرسة فكتوريا الجامعة و ١٠ آلاف جنيه لمدرسة منسفيلد في اكسفرد

الجوهر الفرد مذهب سوري

جاء في جغرافية سترابو في كلامهِ على مدينة صيداء ما تعريبهُ

" اذا وثقنا بما قالهُ بوسيدونيوس فاول من قال بالجوهر الفرد رجل من اهل صيداء اسمهُ موخُس نشأ قبل حروب تروادة "

وبوسيدونيوس هذا فيلسوف سوري من الفلاسفة الرواقيين ولد في مدينة حماة سنة ١٣٥ قبل المسيح ودرس في اثينا واقام في رودس وأُرسل منها سفيرًا الى رومية سنة ٨٦ قبل المسيح والَّف كتبًا في الفلسفة والفلك والتاريخ لم يبقَ منها الَّا اجزاء صغيرة.

قال الاستاذ سي في جريدة ناتشر " ان ارجاع القول بالجوهر الفرد الى عالم سوري نشأ قبل ديموقريطس لم يذكر في كتاب من كتب العلوم الطبيعيَّة ولكن سترابو من الكتَّاب المدققين وبوسيدونيوس من اكبر الثقات "

تولد الانواع

يرى الاستاذ دينار ان البكتيريا وبعض اشكال الخمير والعفن ليست انواعًا قائمة براسها بل هي تتولد تولدًا من الطحالب الخضراء وقد استنتج هذه النتيجة بعد بحث طويل فانهُ كان يضيف ان مستنبت نوع من الطحلب مواد حامضة او قلوية او قليلاً من املاح النحاس فيتولد منهُ انواع من البكتيريا والعفن والخمير فاذا لم يثبت انهُ اخطأَ في امتحاناتهِ او لم ينقها من بزور هذه الانواع فتكون النتائج التي وصل اليها من اغرب ما وصل اليهِ العلماء في هذا العصر

هبة فوق هبة

وهب المستر كارنجي اربعمئة الف جنيه لدارهِ العلمية في وشنطون فوق المليوني جنيه التي وهبها اياها اولاً

هبة علمية هندية

وهب مهرجا درينهجا سبعة عشر الف جنيه لانشاء بناءٍ فسيح يتصل بمدرسة كلكتا الجامعة ويكون دارًا لكتبها

هبة ركفلر

وهب ركفلر مدرسة شيكاغو ٢١٩١٠٠٠ ريال فصار مجموع هباتهِ لها ٣٤ مليون ريال او اربعة ملايين وثمانمئة الف جنيه مصري

هبة عظيمة

ترك وليم جورج بيرس لمدرسة ترنتي الكلية من جامعة كمبردج نحو اربع مئة الف جنيه وهي اكبر تركة تركت لجامعة انكليزية

اصل الاستراليين

وجدت جماجم قديمة في اوربا يستدل

من شكلها على انها لقوم منحطين جدًّا حتى يكادوا يكونون نوعًا قائمًا برأسهِ . وقد انشأ الاستاذ سولاس رسالة عن هذه الجماجم وقال انها تشبه جماجم اهالي استراليا الاصليين وتدل على ان سكان اوربا القدماء واهالي استراليا الاصليين من شعب واحد

كلية البنات في القاهرة

رأى حضرات المرسلين الاميركيين احتياج السكان في مدينة القاهرة الى مدرسة كلية يتعلَّم فيها بناتهم العلوم العالية فابتاعوا ارضًا فسيحة لذلك امام الشارع العباسي شمالي القاهرة واحتفلوا في الخامس والعشرين من فبراير بوضع حجر الزاوية للبناء الذي عزموا على تشييدهِ وحضر الاحتفال خلق كثير وتليت فيهِ الخطب الحسان بالعربيَّة والانكليزية ذكرت فيها حاجة القطر الشديدة الى مدارس عالية لتعليم البنات وابان احدنا الدكتور فارس نمر في خطبتهِ ان عدد الاناث في هذا القطر يبلغ نحو ستة ملايين ومع ذلك فليس منهنَّ في المدارس كلها مصريَّة او اجنبيَّة غير عشرين الف بنت ونحو نصفهنَّ من بنات النزلاء في هذا القطر فلا يكاد يكون في مدارس القطر بنتان وطنيتان من كل الف من المصريات الوطنيات ونحو ثلث التلميذات المصريات في مدارس المرسلين الاميركيين

ووصف حضرة المحامي الفاضل اخنوخ افندي فانوس حالة التعليم الابتدائي على ما كان عليهِ قبل عهد المرسلين الاميركيين وما صار اليهِ بسعيهم وهمتهم وذكر فضلهم الاكبر في انشاء مدارس البنات لان المرأة هي القوة المؤثرة في الهيئة العائلية والهيئة الاجتماعية

وتكلم سعادة صدقي باشا محافظ العاصمة في هذا المعنى وذكر شدة احتياج المصريين الى تعليم بناتهم واوضح مقام المرأة المتعلمة في الهيئة الاجتماعية الراقية

وسيكون في هذه المدرسة غرف للمنامة تسع ٢٠٠ تلميذة وقاعات للدرس والتدريس وتقدر نفقات البناء بستة عشر الف جنيه ويعلَّم فيها العربيَّة والفرنسوية والانكليزية والعلوم العالية التي تعلَّم في المدارس التي من نوعها في اوربا واميركا وتضاف اليها ثلاث دوائر دائرة لتعليم المعلمات ودائرة لتعليم الموسيقى ودائرة لتعليم الرسم والتصوير ودائرة لتعليم الخياطة والتفصيل

اكل الحشرات

المظنون ان الناس كلهم يعافون اكل الحشرات على انواعها وقد تقزُّ النفس من مجرَّد القول ان الحشرات تؤكل ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها ان كثيرًا من الحشرات يؤكل ويعدُّ من افخر انواع الطعام فالجراد يأكلهُ البدو في اماكن كثيرة وتستطيبهُ قبائل

كثيرة في افريقية وبعضهم لا يأْكل سواهُ من انواع اللحوم كأَنهُ طعامهم الخاص. وكان القدماء يأْكلونهُ من قديم الزمان ففي دار التحف البريطانية منقوشات قديمة من آثار نينوى فيها رسوم انواع الاطعمة وفي جملتها الجراد. وكان اهالي اثينا ياكلون الجراد والجنادب ويبيعونهما في اسواقهم كأنهما من الاطايب ويفضلونهما على السماني. وقد حللت شريعة موسى اكل الجراد. ولا يزال عرب نجد يجففون الجراد ويسحقونهُ ويمزجون مسحوقهُ بالدقيق وكذا يفعل سكان اواسط افريقية ويطبخون منهُ نوعاً من الحساء. واهالي مدغسكر يحمصونهُ ثم يطبخونهُ مع الرز. واهالي الجزائر يسلقونهُ ويملحونهُ ويا كلونهُ. واهالي جنوبي روسيا يدخنونهُ كما يدخنون السمك ومتى ارادوا اكلهُ سلقوهُ قبل ذلك او شووهُ او قلوهُ

وفي الارض دود ابيض كبير يتولد منهُ نوع من الخنافس ومنذ عشرين سنة أُولمت وليمة في قهوة كستوزه بباريس وقدم فيها هذا الدود مقلوًّا بعد مزجهِ بالدقيق واللبن والبيض وكان المدعوون خمسين نفساً فاكلوا منهُ واستطابهُ اكثرهم. ولا يزال البعض يأْكلون هذا الدود في فرنسا الى يومنا هذا مشويًّا بعد مزجهِ بالدقيق وفتات الخبز

وكان الرومانيون ياكلون نوعاً من الديدان البيضاءِ الكبيرة التي تنخر سوق الاشجار

وفي استراليا نوع من الفراش يكثر فيها في بعض فصول السنة ويجتمع على الاشجار كخشارم النحل فيوقد الاستراليون ناراً تحتها حتى يخنقها الدخان ثم يطفئون النار ويجمع الفراش الواقع ويوضع على الرضف حتى يشوى وتحترق ارجلهُ واجنحتهُ فيسحقونهُ ويأْكلونهُ

وعند اهالي جاوى نوع من الدود يكون في شجر النخل فيجمعونهُ ويشوونهُ ويمزجونهُ بالافاويه ويقولون انهُ اطيب انواع الاطعمة

وكان اليونانيون يأْكلون زيز الحصاد ويستطيبونهُ جدًّا ويأْكلون الصراصير ايضاً. وفي افريقية قبائل تأْكل الزيز والصرصور

واهالي الصين ياكلون زيزان شرانق الحرير وهي عندهم من الطيبات ويشترون الرطل منها بغرشين وياكلون ايضاً الديدان البيضاء التي تكون في مثل المش المصري ويا كلها بعض المصريين ايضاً

هذا من حيث الحشرات الكبيرة التي ترى بالعين اما الحشرات الصغيرة التي لا ترى بالعين فكل الناس يا كلونها وهم لا يدرون. انظر الى قطعة من الجبن بمكرسكوب صغير فقلما تراها خالية من حشرات صغيرة تدبُّ عليها والناس كلهم يا كلون الجبن ولا يسأْلون عما فيهِ من الحشرات

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

١٨٥ البرتغال وملكها

١٨٩ ماذا تأكل وماذا تشرب

١٩٣ اصل النبط في البتراء . للاستاذ جبر ضومط

١٩٩ سوانح وبوارح . م—خ

٢٠١ الحنين الى لبنان . لداود بك عمون

٢٠٢ الصناعة السورية زمن الحروب الصليبية . ص . ي

٢٠٧ المتنبي والبهاء زهير . للمرحومة انيسة الشرتوني

٢١١ الملاحة عند القدماء . ج . ي

٢١٨ تعريب الاسماء الاعجمية . للشيخ محمود الخصري المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

٢٢٦ العقل والدماغ (مصوَّرة)

٢٣٣ الاطيان والضرائب بالقطر المصري . لجرجس بك حنين

* * *

٢٤٣ باب المراسلة والمناظرة * الشفاء الغريب . الشفاء الغريب . ترجمة مصطفى باشا كامل
الحياة في المريخ

٢٥١ باب الرياضيات * الغريبة الجبرية

٢٥٣ باب تدبير المنزل * انواع الرياضة . تربية الاولاد على الاقتصاد . الوقاية من الكوليرا
فائدة الصوم

٢٥٨ باب التقريظ والانتقاد * كتاب البدء والتاريخ . النوموغرافيا . لغة العالم الجديدة
الارصاد الجوية . مستشفيات الرمد

٢٦٣ باب المسائل * كتاب مسرات الحياة . خطب مجمع ترفية العلوم . السلطان ورعاياه
متخرجو المدارس الانكليزية . استهلاك الدين المصري . دخل ترعة السويس . امتياز ترعة
السويس . تحوُّل المعادن . سبب الشيب الباكر . منع سقوط الشعر . الانسان واكل اللحم
فائدة المصارين . سكان مدن سورية

٢٦٧ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٤ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف